٤٤
تصدر منتصف كل شهر هجري (وفي كل شهرين مرة مؤقتاً) السنة الثامنة ـ ١٥ شوال / ١٤٢٤ هـ

الأصالة

رسالة إسلامية منهجية جامعة

عودة إلى الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة

إقرأ في هذا العدد . . .

اللجنة العلمية عهد جديد مبارك ... أسرة التحرير

فضل العلم ومعوقات تحصيله ... فضيلة الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ

حكم موالاة ومظاهرة الكفار ... الشيخ عبدالمحسن بن ناصر آل عبيكان

كلمة سواء في تصحيح العمل والمنهج ... الشيخ حسين بن عودة العوايشة

قصف الرعد في نسف أغلوطات محاضرة (أما بعد) ... أحمد بن جيلان

عوامل بناء شخصية المرأة المسلمة ... أم عبدالله

علامة التوفيق ... أسرة التحرير

الناشر
مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية
تلفون : ٣٦١١٢٣٢ - ٥ - ٠٠٩٦٢

الأصالة

٤٤

رسالة إسلامية منهجية جامعة

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

السنة الثامنة — تصدر منتصف كل شهر هجري (وفي كل شهرين مرة مؤقتاً) — ١٥ شوال

الناشر : مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية — ١٤٢٤هـ

أسرة التحرير

الشيخ / د. محمد بن موسى آل نصر .... رئيساً

الشيخ / علي بن حسن الحلبي الأثري .... مديراً

الشيخ/ سليم بن عيد الهلالي .... عضواً

الشيخ / مشهور بن حسن آل سلمان .... عضواً

اللجنة العلمية الاستشارية

الشيخ/ عبد المحسن بن ناصر آل عبيكان

الشيخ/ حسين بن عودة العوايشة

الشيخ/ عبد الله بن صالح العبيلان

الشيخ/ فتحي بن محمد سلطان

عنوان المراسلة

الأردن - عمّان

ص.ب (٩٨) - الرمز البريدي (١٣٧٨١)

تلفاكس : ٠٠٩٦٢-٥-٣٦١١٢٣٢

موقعنا على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) :

www.albanicenter.com

البريد الإلكتروني :

albani1421@hotmail.com

ترسل المقالات والاشتراكات باسم رئيس تحرير مجلة الأصالة

تطلب (الأصالة) من جميع المكتبات السلفية في العالم

الولايات المتحدة :

AL-QURQN WAS-SUNNAH SOCIETY (QSS)
19800 VAN DYKEROAD
Detroit 48234-3354
Tel: (313) 893-3768

إخواننا القراء

نرحب بكل مقال علمي رصين ، ونرغب في كل نقد هادف بنّاء في (الأصالة)

منبر لكل مسلم مخلص داع على الحق ..

- وفقنا الله وإياكم لكل خير -

الاشتراكات

- المملكة العربية السعودية (٩٠ ريالاً)
- بقية الدول العربية (٢٥ دولاراً)
- أوروبا (٣٠ دولاراً)
- أمريكا (٥٠ دولاراً)

ثمن النسخة

الأردن (دينار)، الإمارات المتحدة (١٠ دراهم)، البحرين (دينار)، السعودية (١٠ ريالات)، الكويت (٨٠٠ فلس)، أوروبا (٤ دولارات)، أمريكا (٥ دولارات)

صاحب الامتياز والمالك : (شركة الأصالة للاستشارات الثقافية)

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم (٤/ ٣/ ١٣٢٨) - رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠٠٢/ ٢٢٠٣/ د)

خطبة الحاجة

إنَّ الحَمْدَ للهِ؛ نَحْمَدُهُ، وَنستَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بـاللهِ مِـنْ شُـرُور أَنْفُسِـنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُور مُحْدَثَاتُها، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّار.

محتويات العدد

. **فاتحة القول:** اللجنة العلمية عهد جديد مبارك

أسرة التحرير ٥

. **تأملات قرآنية:** ﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾

الشيخ أبو الحارث علي بن حسن الحلبي ٧

. **الكلم الطيب:** خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه

الشيخ أبو عبدالرحمن هشام العارف المقدسي ٩

. **من أصول الدعوة:** من معالم المنهج السلفي

الشيخ أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي ١١

. **أصول أهل السنة:** حكم موالاة ومظاهرة الكفار

الشيخ عبدالمحسن بن ناصر آل عبيكان ١٣

. **كلمات في الدعوة والمنهاج:** كلمة سواء في تصحيح العمل والمنهج

الشيخ حسين بن عودة العوايشة ١٨

. **دراسات منهجية:** البيان السديد لمخالفة كثير من الدعوات الإسلامية المعاصرة

الشيخ عبدالله بن صالح العبيلان ٢٣

. **آفات الطلب:** فضل العلم ومعوقات تحصيله (١)

فضيلة الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ٢٩

. **من علوم القرآن:** قراء الأردن وفلسطين (٢)

الشيخ أبو أنس محمد بن موسى آل نصر ٣٧

. **مباحث عقدية:** الفرق بين الصغيرة والكبيرة، وبيان الآثار المترتبة على ذلك (٥)

الشيخ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ٤٥

. **الدين النصيحة:** نظرات تصحيحية في المسيرة الدعوية (٢)

أبو العالية فخر الدين بن الزبير ٥٠

. **مناهج الأئمة والعلماء:** منهج الإمام الطبري في كتابه «تهذيب الآثار» (٢)

الشيخ أكرم بن محمد زيادة ٥٥

. **صوت المنبر:** التنفير من خوض غمار التكفير

الشيخ صالح بن حميد ٦٢

. **ردود وتعقبات:** قصف الرعد في نسف أغلوطات محاضرة (أما بعد) (١)

أبو المنذر أحمد بن جيلان ٦٩

. **ركن الأسرة:** عوامل بناء شخصية المرأة المسلمة

أم عبدالله نجلاء الصالح ٧٧

. **مسك الختام:** علامة التوفيق

أسرة التحرير ٨٣

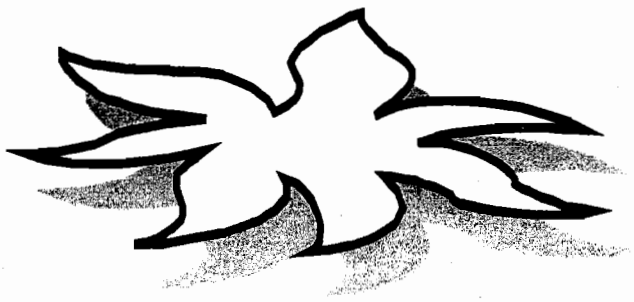

اللجنة العلميّة

عهد جديد مبارك

• بقلم: أسرة التحرير

إنّ رسالتنا «الأصالة» قد مضى عليها -اليوم- قريبُ عشرِ سنواتٍ؛ صدر خلالها أكثرُ من أربعين عدداً -ولله الحمد-؛ نفع اللهُ بها كثيراً من الناسِ في أنحاءِ العالَم -أجمعَ-.

وهذه السنواتُ العشرُ -بكل ما فيها- تُوجِبُ علينا مزيداً من العمل، ومزيداً من التأني، ومزيداً من المراجعة: حتى نُحافِظ على المستوى العلميِّ الذي وصلته رسالتُنا -هذه- ولله الحمدُ-، بل لِيرتفع أكثر وأكثر -بمنَّةِ اللهِ وتوفيقِهِ-.

وسعياً منا نحو تطوير مجلتنا «الأصالة» إلى الأحسن والأفضل، فقد عرضناها على نخبة من أفاضل أهل العلم -جزاهم الله خيراً-؛ وهم أصحاب الفضيلة: الشيخ عبد المحسن العبيكان، والشيخ عبد الله العبيلان، والشيخ حسين العوايشة، والشيخ فتحي سلطان: ليكونوا معنا -عوناً لنا- في حمل أمانة الدعوة إلى الله؛ فكانت هذه اللجنة العلميّة الاستشارية الموقرة؛ ليكونَ لها مُهمّةٌ عاليةٌ رفيعة تشارك في سير المجلّة، ومقالاتها، وكتاباتها؛ وذلك عملاً بقوله -تعالى-:﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى:٣٨].

وإنَّ المرجوَّ -والمأمول- مِن هذه اللجنةِ المباركةِ -إن شاء الله- أن يكون أداؤها لهذه المهمّة المنيفةِ متميِّزاً بوضوحه، متميِّزاً بشموله، متميِّزاً بسعتِهِ ودقَّته وعدله ووسطيَّته، بعيداً عن أهل الغلو والتقصير، والإفراط والتفريط.

ومِن جانب آخر، فإنَّ هذه اللجنة العلميّة -بأعضائها الأفاضل- تُمَثِّلُ صورةً بهيّةً راقيةً من صُور التعاون الشرعي المطلوب بين عُلماء الدعوة السلفيّة ودُعاتها -في سائر أنحاء العالم- شرقاً، وغرباً-؛ لأن الدعوة السلفية لا تقيّدها حدود، ولا يحجرها لون ولا لسان؛ لأنها امتداد لدعوة الرسول ﷺ؛ الرحمة المهداة، التي لا تفرق بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى.

فعسى أن يكون هذا التعاون -المنطلق من «الأصالة»- بدايةً سامية لانطلاقةٍ شاملةٍ بين أهل العلم السلفيِّين -في كُلِّ مكان-؛ تواصياً، وتعاوناً، واعتصاماً.

خصوصاً بعدما تفرق كثير من دعاتها، ودب إليهم داء الأمم؛ مع أن الأصل أن يجتمعوا على كلمة سواء، فأهل التوحيد والاتباع لا يعرف التنازع والتفرق إليهم سبيلاً -لأنهم أهل الرحمة- الذين استثناهم الله من الاختلاف؛ بقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود:١١٨-١١٩].

وحتى لا نشمت بنا الحاسدين، ولتأتلف كلمة السلفيين في بلاد الشام وأرض الحرمين الشريفين -وسائر بلاد الإسلام- بعيداً عن الإقليميّة الضيقة، ولتبقى (الأصالة) كما قال عنها شيخنا الإمام الألباني: (اسماً على مسمى) كان لا بد من هذه اللجنة العلميّة الاستشارية.

وفي الختام: نسأل الله -تعالى- أن يُعظِم النفع بهذه «الأصالة»؛ والقائمين عليها، والداعين إليها؛ بما تحملُهُ من علمٍ أصيل مبنيٍّ على كتاب الله -تعالى-، وسنّة رسوله ﷺ وعلى منهج السلف الصالح.

والله ولي التوفيق.

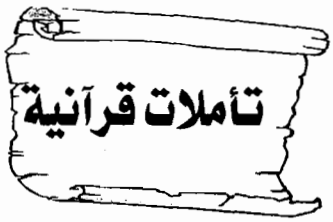

﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾

• بقلم: الشيخ أبي الحارث علي بن حسن الحلبي الأثري

إنَّ تعلُّق الإنسانِ -أيِّ إنسانٍ- بالمجتمع الذي يُحيطُ به، أو بالبيئة التي يَحياها: كبيرٌ جدًّا؛ بحيث يكونُ ذلك مؤثِّراً على تفكيره، وسُلُوكه؛ يُوجِّهُه، ويغيِّر مسارَه إلى حيث يشاءُ...

ولئن كان هذا التأثير محموداً فيما لا يُخالف الشرع من الشؤون: فإنّه محرَّمٌ ممنوعٌ فيما يُخالف الشرعَ ويُناقِضُهُ في كثيرٍ أو قليل؛ وبخاصَّةٍ في مسائل العلم الدقيقة، الّتي تُجاوز الإنسان -ذاتاً-؛ لتصِل إلى غيرِهِ -جماعاتٍ أو أفراداً-.

فالعبدُ حينما يُوافي ربَّه -تعالى- يُوافيهِ -وحدَه- ليس معه قَبِيلٌ ولا دَبِير -مِن غير عملهِ و قوله-.

يُوافيه مِن غير جاهٍ، ولا سُلطان، ولا عشيرة، ولا حزبٍ، ولا جماعةٍ، ولا شيخ...

يُوافيه منفرداً، لا ولد، ولا زوجة، ولا والد... ليكونَ -بَعْدُ- الحِساب؛ فالثواب، أو العقاب.

فقولُهُ -عزَّ في علاه-: ﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ ﴾ [مريم:٨٠]: شاملٌ لِحساب قولِه وعملِهِ؛ الذي سَيُرَحَّلُ معه إلى قبرِهِ، ثم عند ربِّه يومَ القيامةِ؛ لِيُحاسَبَ عليه، فاللهُ -تعالى- يقول: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:١٨].

ولقد كان من محاسِن توجِيهات رسولِ اللهِ ﷺ لمعاذ بن جَبَل -رضي الله عنه- قولُهُ: «وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على مناخِرِهم إلا حصائدُ ألسنتهم»..

ولئن كان سِياقُ النصِّ القرآنيِّ -هذا- وارداً في إنسانٍ -بعينه- مِن أئمّةِ الكفرِ -عياذاً باللهِ-: لكنّ إجراءَهُ على عُمومهِ لكلِّ إنسانٍ هو الأصلُ؛ لدليلين:

أ) القاعدة العلمية المعتبرة: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب).

ب) شهادةُ النُّصوص القرآنية العامّة -الأُخرى- له؛ كمثل قولِه -تعالى-: ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم:٩٥].

وهي نصٌّ فيما نحن فيه . . .

فإيَّاك إياك -يا عبدَ اللهِ- أن تَقول شيئاً اليوم؛ تندمُ عليه غداً...

إياك إياك -يا عبدَ اللهِ- أن يَرىٰك مِن أقوالك وأفعالك إلا ما يكونُ سببَ سعادةٍ ورشاد، وتوفيق، وسداد..

إياك إياك -يا عبدَ اللهِ- أن تغترَّ بنفسك؛ وأن تتعصَّب لِقولك... فالكلُّ مرصودٌ، والجميعُ محسوبٌ...

وقوله -جلَّ وعلا-: ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ تصريحٌ لا أمْتَ فيه أنَّ من تتقوَّى بهم في دُنياك: لن ينفعوك في أُخراك؛ إلا إذا كانوا إخوانَ طاعة، وأصحابَ هداية؛ يُذكِّرونك لَّما تنسى، ويصوِّبونك لَّما تخطىء، ويُرجِعونك لَّما تُبعِد...

أمَّا غيرُهُم: فما لك ولَهم!!

فإيَّاك وإيَّاهم!!!

ذهب الذين تحبُّهم

فانظر لنفسك مَن تُؤاخي

إنَّ الذين أمِنْتَهم

هم يُوقِعونك في الفخاخِ

ربِّ سلِّم سلِّم.

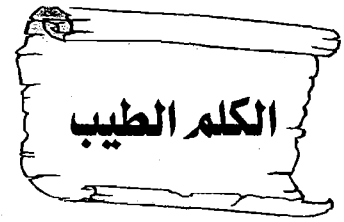

خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه

• بقلم: الشيخ أبي عبدالرحمن هشام العارف المقدسيّ

صَحَّ عن عبد الله بن عمرو، عن النبيِّ ﷺ أنّه قال: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجار».

وإنَّ مِن المعلوم أن هذه الخيرية بين الأصحاب تقومُ حقَّ القيام إذا كانت العلاقة بينهما مبنيّةً على الحبّ في الله، وعلى منهج رسول الله، وعلى منهج السلف الصالح، ولا خير في صحبة خلاف ذلك، لذلك بوب المنذري في «الترغيب والترهيب» في كتاب الأدب، باباً سماه: (باب الترغيب في الحب في الله -تعالى-، والترهيب من حب الأشرار وأهل البدع؛ لأن المرء مع من أحب) وأورد فيه حديثاً رواه الحاكم، وحسنه الألباني، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : «من سره أن يجد حلاوة الإيمان ؛ فليحب المرء لا يحبه إلا لله».

وروى الطبراني بإسناد جيد قوي عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ﷺ: «ما من رجلين تحابا في الله بظهر الغيب إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حباً لصاحبه».

وخير الأصحاب من كان مخلصاً في نصح صاحبه، وهدايته إلى طريق السنة ومنهج السلف الصالح، ولا يكون ذلك إلا في المحبة، فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : متى الساعة ؟ قال : «وما أعددت لها؟» قال : لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله. فقال : «أنت مع من أحببت».

قال أنس : فما فَرِحْنا بشيء فَرَحَنا بقول النبي ﷺ : «أنت مع من أحببت». قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ، وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل عملهم.

ومن هذا الباب كان قول النبي ﷺ: «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي».

وعن الحسن في قوله -تعالى- ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، قال : وكان علامة حبه إياهم اتباع سنة رسول الله ﷺ.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه -في نفس الأمر- حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله؛ كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ »، ولهذا قال -تعالى- : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء الحكماء: ليس الشأن أن تُحِب إنما الشأن أن تُحَب.

وقال الحسن البصري -وغيره من السلف-: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية؛ فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾.

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : «فدلت الآية أنها لا تحصل إلا باتباع الرسول، ودلَّ الخبر على أن اتباع الرسول -وإن كان الأصل أنه لا يحصل إلا بامتثال جميع ما أمر به- أنه قد يحصل من طريق التفضل باعتقاد ذلك وإن لم يحصل استيفاء العمل بمقتضاه، بل محبة من يعمل ذلك كافية في حصول أصل النجاة، والكون مع العاملين بذلك لأن محبتهم إنما هي لأجل طاعتهم، والمحبة من أعمال القلوب، فأثاب الله محبهم على معتقده، إذ النية هي الأصل والعمل تابع لها، وليس من لازم المعية الاستواء في الدرجات».اهـ

والحمد لله ربِّ العالمين.

من أصول الدعوة السلفية

مِن معالم المنهج السَّلفي

• بقلم: الشيخ أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي

اعلم أخا الهدى -أرشدك الله للحق بإذنه؛ إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم- أن قاعدة الحب والبغض في الله -وحده لا شريك له- تحدد للعبد المؤمن جهة الولاء الوحيدة الفريدة التي تتفق مع صفة الإيمان، وتنبثق عنه.

إن عبد الله حقاً من يرضيه ما يرضي الله ورسوله محمداً ﷺ، ويسخطه ما أسخط الله ورسوله، ويحب ما أحبه الله؛ فيهجر ما أبغضه الله، فيوالي أولياء الله، ويعادي أعداء الله.

هذا الذي ملأ الإيمان قلبه، فوجد له حلاوة وطلاوة ونداوة.

فلا مجال للتمحل، أو التأول، ولا فرصة لتمييع المنهج الإسلامي؛ لأن المسألة في صميمها هي العقيدة، ومحلها الولاء لله ورسوله والمؤمنين، والالتقاء على منهج الله -جل جلاله- والتفرق عليه.

قال -تعالى-: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:١٦].

وقال ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب؛ وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق صدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً؛ ففاضت عيناه».[1]

---

[1] أخرجه البخاري (٢/ ١٤٣-الفتح) واللفظ له، ومسلم (٧/ ١٢١-١٢٣-نووي) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

إن الالتزام دائماً يكون بالمنهج الإسلامي السلفي الصحيح ... بما شرعه الله وتجسد قدوة حسنة في حياة رسول الله ﷺ هو المقياس، وليس الالتزام بالأنساب، أو الأشخاص، أو الجماعات، أو الأحزاب، أو المذاهب، أو الفرق، أو الحكومات، أو الشعوب.

إن الخلل والعلل تسلل إلى الحياة الإسلامية من العنود والعدول عن هذا المقياس، أو محاولة اختلاسه من يد العبد المسلم .. ومن ثم تكون العصمة الكاذبة التي تخلع على الأشخاص الذين أُلبسوا هالة التقديس، ووضعوا فوق النقص والنقد، حيث تمد المسوغات المضحكة المبكية رأسها، والتي وضعت لتصرفاتهم وأخطائهم التي تتناقض أصلاً ورأساً مع ما يحبه الله ويرضاه، ويتبرأ منها المنهج الإسلامي السلفي الأصيل الصحيح.

ومن هنا تبدأ مرحلة السقوط حيث تبدأ عملية تحديم الأهداف الإسلامية الصادقة، والقيم الربانية لا خدمتها.

ولله در القائل:

إني سأعمم تعميماً

الحزب يحرم تحريماً

يا ويح مصائب أمتنا

إسلام يخدم تنظيماً

حينئذٍ تبدأ الأحكام تُفَصَّل على الأشخاص، والحيل تؤصل حتى تصبح لها مصنفات.

ولا ينبغي للعبد المحب لله -الذي يحب في الله، ويبغض في الله، ويعطي لله، ويمنع لله، ويصل لله، ويقطع لله- أن يظن أن الدعوة إلى التزام المنهج الإسلامي السلفي الأصيل الصحيح في الولاء والحب والبغض، وعدم التزام الأشخاص، والشارات، واليافطات، ارتداد إلى الفرقة، وبعثرة الجهود.

إن هذا الأصل الذي ترتبط به علاقات المسلمين بعضهم ببعض ليس من الأمور الاختيارية، إنما هو تصحيح لمسيرة المجتمع المسلم، وإلغاء الإقطاعات البشرية في حياة المسلمين، والتزام بالإسلام الذي ارتضاه لنا رب العالمين ديناً، وبينه رسول الله ﷺ أتم بيان، وفصله أحسن تفصيل، وقضى عليه سلفنا الصالح جيلاً فجيل حتى انتهى إلى ما كان عليه أشياخنا الأفاضل وأساتذتنا الأماجد: الألباني وابن باز وابن عثيمين، وإنا منتظرون، وعلى آثارهم سائرون ولرياضهم متجعون، وسيعلم الغلاة المتنطعون والمتساهلون المميعون أي منقلب ينقلبون . . .

ولتعلمن نبأه بعد حين(!!)

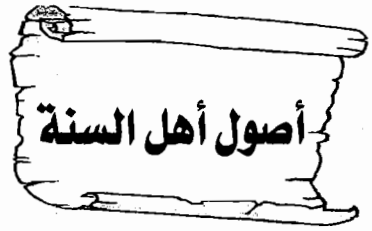

حكم موالاة ومظاهرة الكفار؟

• بقلم: الشيخ عبدالمحسن بن ناصر آل عبيكان

كثُر السؤالُ عن معنى وحكم مظاهرة المشركين ومدى انطباق ذلك على الوضع اليوم.

فأقول -وبالله التوفيق-: تكون موالاة الكفار ومظاهرتهم على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن تكون موالياً تاماً مطلقاً عاماً، فهذا كفرٌ مُخرج عن ملة الإسلام، وهو مرادُ من أطلق الكفر.

الدليل: قوله -تعالى-: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١]، وقوله -تعالى-: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة:١].

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير الآيات ما نصُّه: «نهى -تبارك وتعالى- عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين، وأن يتخذوهم أولياءَ يُسرُّون إليهم بالمودَّة من دون المؤمنين، ثمَّ توعَّد على ذلك؛ فقال -تعالى-: ﴿ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾ [آل عمران:٢٨] أي: ومن يرتكب نَهي اللهِ في هذا، فقد برئ مِن الله، كما قال -تعالى-: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ

تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ إلى أن قال: ﴿ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾؛ وقال -تعالى-: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١٤٤]؛ وقال -تعالى-: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة:٥١]

وقال -تعالى- بعد ذكر موالاة المؤمنين من المهاجرين والأنصار والأعراب-: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال:٧٣]» اهـ.

وقال الإمام ابن جرير الطبري -رحمه الله-: «مَن تولاهم ونصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم، فإنه لا يتولّى متولٍ أحداً إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راضٍ، وإذا رضيه رضي دينه، فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمُه حكمَه» اهـ.

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ -رحمهم الله-: «قد فسرته السنّة وقيدته وخصّته بالموالاة المطلقة العامة»اهـ.

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي -رحمه الله-: «إن كان توليا تامًّا كان ذلك كفراً وتحت ذلك من المراتب ما هو غليظ وما هو دونه»اهـ.

الوجه الثاني: أن تكون لأجل تحصيل مصلحة خاصّة للمتولي والمظاهر وليس هناك ما يُلجئ إليها من خوفٍ ونحوه: فهذا حرام وليس بكفر.

الدليل: قصة حاطب بن أبي بلتعة -رضي الله عنه- التي رواها البخاري ومسلم -رحمهما الله- وغيرهما وهي أنه كتب كتاباً لقريش يُخبرهم فيه باستعداد النبي ﷺ للزحف على مكة، إذ كان يتجهّز لفتحها وكان يكتم ذلك ليبغت قريشاً على غير استعداد منها فتضطر إلى قبول الصلح، وما كان يُريد حرباً، وأرسل حاطبٌ كتابَه مع جارية وضعته في عقاص شعرها، فأعْلَمَ اللهُ نبيَّه بذلك فأرسل في أثرها علياً والزبير والمقداد -رضي الله عنهم- وقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ؛ فإنَّ بها

ظعينة معها كتابٌ فخذوه منها» فلمَّا أُتي به قال: «يا حاطب ما هذا؟». فقال: يا رسول الله لا تعجل عليَّ! إني كُنتُ حليفاً لقريش ولم أكن من أنفسها، وكان مَن معك مِن المهاجرين لهم قرابات يَحمون أهليهم وأموالهم، فأحببتُ إذ فاتني ذلك مِن النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يَحمون بها قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال -عليه الصلاة والسلام-: «أمَا إنه قد صدقكم»، واستأذن عمر النبي ﷺ في قتله فلم يأذن له، قالوا: وفي ذلك نَزل قوله -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ [الممتحنة:١].

قال الحافظ ابن حجر: قوله في قصة حاطب بن أبي بلتعة: «فقال عمر: دعني يا رسول الله فأضرب عنقه». إنما قال ذلك عمر مع تصديق رسول الله ﷺ لحاطب فيما اعتذر به لِما كان عند عمر من القوة في الدِّين، وبُغض مَن يُنسب إلى النفاق، وظن أن مَن يُخالف ما أمر به رسول الله ﷺ استحق القتل، لكنه لم يَجزم بذلك، فلذلك استأذن في قتله وأطلق عليه منافقاً؛ لكونه أبطن خلاف ما أظهر، وعُذْرُ حاطب ما ذكره، فإنه صنع ذلك متأولاً أن لا ضرر فيه، وعند الطبري من طريق الحارث بن علي في هذه القصة: «فقال: أليس قد شهد بدراً؟ قال: بلى، ولكنه نكث وظاهر أعداءك عليك» اهـ.

وقال ابن حزم: «وأما ما حملته الحميّة من أهل الثغر من المسلمين فاستعان بالمشركين الحربيين وأطلق أيديهم على قتل من خالفه من المسلمين أو على أخذ أموالهم أو سبيهم، فإن كانت يده هي الغالبة وكان الكفار له كأتباع، فهو هالك في غاية الفسوق ولا يكون بذلك كافراً؛ لأنه لم يأتِ شيئاً أوجب به عليه كفراً قرآن أو إجماع» اهـ.

وقال الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله-: «وإذا كان الشارع لم يَحكم بكفر حاطب في موالاة المشركين التي هي موضع النهي» اهـ.

ولذا لم يذكر الفقهاء الموالاة والمظاهرة مِن ضمن المُكفِّرات في باب (حكم المرتد)، يتضح ذلك لمن اطَّلَعَ على كتاب

«الإقناع» و«شرحه» و «المغني» وغيرهما.

ويلاحظ أنَّ الله -عزَّ وجل- نادى حاطباً بلفظ الإيمان في قوله -تعالى-: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ﴾ [الممتحنة:١] الآية، فدلَّ على أنه لم يكْفُر بذلك العمل مع أنه -تعالى- قال: ﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ [الممتحنة:١] وقال -سبحانه-: ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ [الممتحنة:١].

الوجه الثالث: أن تكون بسبب خوف من الكفار ونحوه، فالحكم في ذلك الجواز بشرط أن يكون هذا التّولي في الظاهر دون الباطن.

الدليل: قوله -تعالى-: ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ [آل عمران:٢٨]، قال ابن كثير -رحمه الله-: «أي: إلا مَن خاف في بعض البلدان والأوقات مِن شرِّهم، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيَّتِهِ»، كما قال البخاري عن أبي الدرداء: أنه قال: «إنا لنكْشُر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم» اهـ.

وقال الشيخ محمد رشيد رضا: «يزعم الذين يقولون في الدِّين بغير علم، ويُفسرون القرآن بالهوى في الرأي، إن آية (آل عمران) وما في معناها من النهي العام والخاص كقوله -تعالى-: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [المائدة:٥١]، يدل على أنه لا يجوز للمسلمين أن يُحالفوا أو يتفقوا مع غيرهم، وإن كان الخلاف أو الاتفاق لمصلحتهم، وفاتهم أنَّ النبي ﷺ كان محالفاً لخزاعة وهم على شركهم، بل يزعم بعض المتحمِّسين في الدِّين على جهل، أنه لا يجوز للمسلم أن يُحسن معاملة غير المسلم أو معاشرته أو يثق به في أمر من الأمور»، وقال -أيضاً-: «وعلى هذا يجوز لحكام المسلمين أن يحالفوا الدُّول غير المسلمة لأجل فائدة المؤمنين بدفع الضرر أو جلب المنفعة» اهـ.

ومتى وجدت الموالاة والمظاهرة للكفار فإن الذي سيُطبِّقُ نوع هذه الموالاة والمظاهرة على مَن فعلها عليه أن يتقي الله في عدم التَّسرع، وعليه أن يعرف حقيقة الأمر وباطنه، **فالوَرَعُ عن أكل المحرمات وفعل المنكرات ليس بأولى من الورع في إخراج مسلم عن ملة الإسلام**، والفتوى في مثل هذه القضايا العامة التي تتعلق بتعامل الدُّول مع بعضها، والحكام مع بعضهم ليست مِن حقِّ كلِّ أحد مِن طلبة العلم؛ بل من اختصاص كبار العلماء الذين يتصلون بولاة الأمر ويعرفون حقيقة الأوضاع، فغالباً ما تكون

الأمور المعلنة مُغايرة للواقع الخفي، فالمفتي مِثْلُ الطبيب الذي يُشخص الدَّاء أولاً، ثم يصف الدواء، وبعض المفتين مِثْل الصيادلة عندهم علم بالنُّصوص ولكنهم لا يستطيعون تطبيق تلك النُّصوصِ على الواقع، كما أن الفتاوى الفردية في الأمور العامة تدعو إلى تشعُّب الفتاوى واختلافها، ثم إلى اختلاف الأمة وانقسامها، وشق عصا الطاعة في وقتٍ تكون الأمّة فيه بحاجة ماسة إلى الاجتماع ووحدة الكلمة، ومن سبَر حال النبي ﷺ مع المشركين وتعامله معهم اتَّضح له معنى تلك النُّصوص ومراعاتها للمصالح واعتباراها لدرء المفاسد، وذلك عندما يصالح النبي ﷺ مشركي قريش في الحديبية مدة عشر سنين وهو بذلك يُمكِّنهم من البقاء في مكة على شركهم وتدنيس البيت بالشرك ونصب الأوثان.

ويتضمن الصلح -أيضاً- ما جاء في «صحيح البخاري»، ونصه: «فلما أبى سهيلٌ أن يقاضي رسول الله ﷺ إلا على ذلك، كاتبه رسول الله، فردَّ رسولُ الله أبا جندل بن سهيل يومئذٍ إلى أبيه سهيل بن عمرو، ولم يأتِ رسولَ الله أحدٌ من الرجال إلا ردَّه في تلك المدة وإن كان مسلماً».

ولو أنَّ حاكماً بعد النبي ﷺ فعل مثل ذلك وقام برَدِّ المسلمين وتسليمهم إلى الكفار لَحَكَمَ عليه بعض المنتسبين إلى العلم بالكفر والردة!!

فنصيحتي للمسلمين عامة وطلبة العلم خاصة أن يكفوا عن أسباب الشقاق بين المسلمين؛ لأنَّ هذا مما يَخدم الأعداء المتربصين، وعليهم أن يسعوا جاهدين لتوحيد الكلمة ووحدة الصف، قال -تعالى-: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقال ﷺ: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد منكم يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه كائناً من كان».

وفقهاء الأمة والعلماء الربانيون يراعون في إصدار الفتاوى القواعدَ الشرعيّة؛ مثل قاعدة: «جلب المصالح وتكثيرها، ودفع المفاسد وتقليلها»، وقاعدة: «ارتكاب أدنى المفسدتين لدفع أعلاهما».

نسأل الله الكريم أن يَجمع شمل المسلمين، وأن يوحد صفوفهم على الحقِّ وينصرهم على أعدائهم، ويعز دينه ويُعلي كلمته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

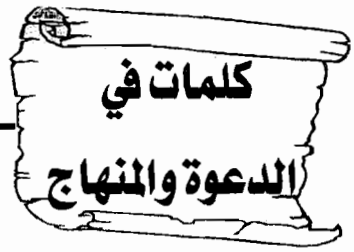

كلمة سواء في تصحيح العمل والمنهج

• بقلم: الشيخ حسين بن عودة العوايشة

قال الله -تعالى-: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: «﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا ﴾، يعني: الرسول -صلوات الله وسلامه عليه- وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

﴿ لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾، أي: لنُبصِّرنَّهم سُبلنا، أي: طرقَنا في الدنيا والآخرة».

ثم ذكَر بإسناد ابن أبي حاتم إلى عباس الهمداني في قول الله -تعالى-: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ قال: «الذين يعملون بما يعلمون، يهديهم لما لا يعلمون».

قال أحمد بن أبي الحواري: «فحدَّثتُ به أبا سليمان الداراني فأعجبه، وقال: ليس ينبغي لمن ألهم شيئاً من الخير أن يعمل به؛ حتى يسمعه في الأثر، فإذا سَمِعَه في الأثر عَمِلَ به، وحَمَدَ اللهَ حين وافق ما في نفسه».

وقال الإمام القرطبي -رحمه الله- بحذف-: «قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا ﴾ أي: جاهدوا الكفار فينا، أي: في طلَب

مرضاتنا»، وقال السّديّ وغيره: «إنَّ هذه الآية نَزَلت قبل فرض القتال»، قال ابن عطية: «فهي قبل الجهاد العرفي، وإنّما هو جهادٌ عامٌّ في دين الله وطلب مرضاته، قال الحسن بن أبي الحسن: الآيةُ في العُبَّاد»، وقال ابن عباس وإبراهيم بن أدهم: «هي في الذين يعملون بما يعلمون...

وقال عمر بن عبد العزيز: «إنَّما قصَّر بنا عن علم ما جَهِلْنا؛ تقصيرنا في العمل بما عَلِمْنا، ولو عَمِلْنا ببعض ما عَلِمْنا لأُورثنا عِلْماً لا تقوم به أبداننا، قال الله -تعالى-: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾، وقال أبو سليمان الداراني: «ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط، بل هو نصْر الدين، والرَّد على المبطلين؛ وقمع الظالمين؛ وعَظَمةُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله وهو الجهاد الأكبر، وقال سفيان بن عُيينة لابن المبارك: «إذا رأيتَ النَّاسَ قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين وأهل الثغور فإنَّ الله -تعالى- يقول: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾[1]».

قال الضحاك: «معنى الآية: والذين جاهدوا في الهجرة لنهدينهم سُبُل الثبات على الإيمان، ثمَّ قال: «مَثَل السُّنَّة في الدنيا كَمَثل الجنة في العقبى، مَن دخَل الجنّة في العقبى سَلِم، كذلك مَن لَزِمَ السُّنّة في الدنيا سَلِم»، وقال ابن عباس: «والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سُبُل ثوابنا، وهذا يتناول بعموم الطاعة جميع الأقوال»، ونحوه قول عبد الله بن الزبير قال: «تقول الحكمة: مَن طلبني فلم يجدني فليطلبني في موضعين: أن يعمل بأحسن ما يعلمُه، ويجتنب أسوأ ما يعلمه...»».

وقال العلامة السَّعدي -رحمه الله-: «﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالعون،

---

(1) هذا كلام جميل؛ لكن؛ لِمَن كان على المنهج الذي يَعْنيه ابن المبارك -رحمه الله- وهو منهج السّلف، أمَّا إذا كان المجاهدون أصلاً مختلفين؛ فسينجرّ الخلاف إلى الثغور مع الأسف، وهذا أمرٌ بيِّن.

والنَّصر، والهداية، دلّ هذا على أن أحرى الناس بموافقة الصواب أهل الجهاد، وعلى أنّ من أحسن فيما أُمِر به، أعانه الله، ويسَّر له أسباب الهداية. وعلى أنَّ من جدَّ واجتهد في طلب العلم الشرعي، فإنَّه يَحصل له من الهداية، والمعونة على تحصيل مطلوبه، أمور إلهية، خارجة عن مَدْرَك اجتهاده، وتيسَّر له أمر العلم. فإنَّ طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نوْعَي الجهاد، الذي لا يقوم به إلا خواصّ الخلق، وهو الجهاد بالقول واللسان، للكفار والمنافقين، والجهاد على تعليم أمور الدين، وعلى ردِّ نزاع المخالفين للحقّ، ولو كانوا من المسلمين».

وقال العلامة الشنقيطي -رحمه الله- في «أضواء البيان» (٦/ ٤٧١): «ذكَرَ -جَلَّ وعلا- في هذه الآية الكريمة: أنَّ الذين جاهدوا فيه أنه يهديهم إلى سُبل الخير والرشاد، وأقسم على ذلك بدليل اللام في قوله: ﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ ﴾» انتهى.

وعن فضالة بن عبيد -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ في حجَّة الوداع: «ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أمنهُ الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سَلِمَ الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر مَن هَجَر الخطايا والذنوب»[1].

قلتُ: ويُفهم ممَّا سَبق من نصوصٍ وآثار ما يأتي:

١- إنَّ كلمة ﴿ جَٰهَدُواْ فِينَا ﴾ تعني: أنَّه لا يتمُّ الجهاد والمجاهدة إلا بالعلم بالحديث والآثار؛ لأنَّ ﴿ فِينَا ﴾ تعني: الرسول ﷺ وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وهذا يقتضي أن يكون العمل على مَنهج السَّلف الصَّالح.

وتقييد الأمر بـ ﴿ فِينَا ﴾ يُفهِم أنه قد يكون جُهد وجهاد ومُجاهدة؛ على غير مَنهج النَّبي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم

(١) أخرجه أحمد وغيره، وهو حديث صحيح خرَّجه شيخنا -رحمه الله- في «الصحيحة» (٥٤٩).

بإحسان إلى يوم الدين، فهؤلاء لا يحظَون بوعْد الله -تعالى- وهو أن يُهدَوا سبيل الله التي ذكرها -سبحانه- في قوله: ﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾: أي: طرقنا في الدنيا والآخرة فلا بُدَّ من مُراعاة (نا) التي تعود إلى لفظ الجلالة؛ لا إلى (نا) التي تعود إلى المتكلِّم أو حزبه أو تكتُّله.

وهذا يَجعلنا ندرك قول أبي سليمان الداراني -رحمه الله-: «ليس ينبغي لمن ألهم شيئاً من الخير؛ أن يعمل به حتى يسمعه في الأثر، فإذا سمِعَه في الأثر؛ عمل به، وحمِد الله حين وافقَ ما في نفسه».

وهذه قاعدة عظيمة في العبودية والطاعة والمنهج.

وما أصاب البشريّة من أدواء في عقيدتها أو منهجها أو سلوكها؛ إلا لأنَّ كُلَّ من ألهم (خيراً) عمل به، بل إنهم قد اختلفوا في مدلول الخير اختلافاً كثيراً، فتعدَّدت الديانات والعقائد والمناهج وتناطحت وتلاطمت.

فالخير هو الذي جاء في الكتاب والسنّة والأثر.

والخير هو الذي عمل به الصحابة -رضي الله عنهم-.

والخير كلُّ الخير في منهج سلف الأمَّة؛ لا في سواهم.

٢- ومن أبرز الأمثلة على القاعدة الجليلة المتقدِّمة، أن يُلهَم المرءُ جهاد الأعداء، فعليه أن يتحرَّى النُّصوص والآثار، وأن يعود في ذلك إلى علماء الأُمَّة كيلا يُجانب الصواب.

٣- إنَّ كلمة ﴿ جَٰهَدُوا ﴾ -كما ذكر المفسِّرون- لا تقتصر على جهاد الكُفَّار فحسب؛ بل في نصر الدين والردّ على المبطلين وقمع الظالمين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك مجاهدة النُّفوس في طاعة الله وهو الجهاد الأكبر، وذلك أنَّ جهاد الميدان يفتقر إلى جهاد النفس، فلو كان ذلك المجاهدُ مُرائياً؛ فإنَّه يُسحب على وجهه في النّار يوم القيامة.

ولو أنَّ رجلاً عاجزاً عن الجهاد لمرضٍ أقعَده، وكانت عيناه تفيض من الدمع، وقلبه يتلوَّع أسىً وحزناً، فهذا -بلا ريب- يُبلغه اللهُ -سبحانه- منازل الشهداء وإنْ مات على فراشه، وقد قال -عليه الصلاة والسلام-: «من سأل الله الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء وإنْ مات على فراشه». [أخرجه مسلم: ١٩٠٩].

وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري -رضي الله عنهما- قال: كنَّا مع النبي ﷺ في غزاةٍ فقال: «إنَّ بالمدينة لرجالاً ما سِرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً، إلا كانوا معكم حبَسهم المرض»، وفي رواية: «إلا شركوكم في الأجر». [أخرجه مسلم: ١٩١١].

وأخرجه الإمام البخاري (٢٨٣٩) عن أنس -رضي الله عنه- قال: «إنَّ أقواماً خلْفنا بالمدينة ما سلكْنا شِعْباً ولا وادياً، إلا وهم معنا؛ حبَسهم العُذر».

٤- إذا تحقَّق الجهاد في الله -سبحانه- هُدي سبيله وتحقَّقت معيَّته -تبارك وتعالى- ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فالإحسان أن يُجاهد المرء في الله؛ على النحو الذي تقدَّم، وهو مُفسَّرٌ في حديث جبريل -عليه السلام-: «... أن تعبد الله كأنَّك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». [متفق عليه]

أسأل الله -تعالى- أن يُفقِّهنا في ديننا، وأن يهدينا الصراط المستقيم، وأن يَجعلنا من المحسنين، إنه سميع الدعاء.

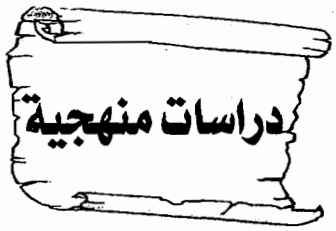

البيَان السَّديد

لمخالفة كثير مِن الدَّعوات الإسلاميّة المعاصرة فهمَ السَّلف الصالح في دعوة التَّوحيد

• بقلم: الشيخ عبدالله بن صالح العبيلان

تجد كثيراً مِن أصحاب الدعوات (الإسلامية) المعاصرة مَن يقول: إن التوحيد هو توحيد الحاكميّة، أي: تطبيق الشريعة في الحدود والمعاملات والعقود وغير ذلك!!

فالشريعة والسياسة بمفهومها المعاصر وجهان لعملة واحدة عندهم، والشرك عندهم هو الشرك السياسي.

ولا شك أن هذا تحريفٌ لمعنى التوحيد الذي أمر الله عباده به، وتحريف لمعنى الشرك الذي حذَّرهم منه.

والجواب على ما ذكروه من أوجهٍ كثيرةٍ لا أستطيع حصرها عدداً، لكن أذكر بعضاً منها:

الوجه الأول: أن منهاج الدعوة ثابتٌ لا يتغيَّر، فالدعوة إلى الله عبادة، والعبادة لا بد فيها من الالتزام بشرع الله الوارد في كتابه وسنّة رسوله ﷺ وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، على الرغم من اختلاف العصور وتعاقب الأمم.

الوجه الثاني: أن الله قد قصَّ علينا في كتابه بعض قصص رسله -صلوات الله

وسلامه عليهم- من نوحٍ إلى محمد على اختلاف المكان والزمان وحضارة الأقوام الذين أرسلوا إليهم؛ فلم يتغيَّر أساس الرسالة، ولم تتغير نقطة البداية في الدعوة إلى الله ولو مرةً واحدة.

الوجه الثالث: أن جميع الرسالات، وجميع الرسل بدؤوا دعوتهم بإفراد الله بالعبادة ونفيها عما سواه، وهو معنى ومقصد لا إله إلا الله، قال -تعالى-:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وأخبر -سبحانه وتعالى- على وجه التفصيل أن نوحاً وهوداً وصالحاً وشعيباً كلاً منهم قال لقومه: ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ ﴾ [الأعراف:٦٥]، وفهم المشركون أن مقصد الرسالة توحيد العبادة، فقال -تعالى- عن عاد: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ ﴾ [الأعراف:٧٠]، وقال كفار مكة: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ [ص:٥]، وبيَّن -سبحانه- أن التوحيد شَرْعُ الله لهذه الأمة، وهو ما وصَّى به نوحاً ومحمداً وإبراهيم وموسى وعيسى -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-، فقال: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ [الشورى:١٣]، وفي وحدة دعوة الأمة للتوحيد قال: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦].

الوجه الرابع: أن دعوة الأنبياء اتفقت في التوحيد واختلفتْ في الشرائع، قال -تعالى-: ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا ﴾ [المائدة:٤٨]، وقال النبي

ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء أبناء عَلات ودينُنا واحد» فيجوز في شريعةٍ ما لا يجوز في أخرى، فلا يصح حينئذٍ تفسير التوحيد بالحاكمية.

الوجه الخامس: إنه إذا كان اللهُ -تبارك وتعالى- خالقُ العباد العليمُ بأحوالهم الخبيرُ بما يصلح لهم في كل حال قد اختار هذا المنهاج لجميع رسله ولجميع من أرسل إليهم؛ فليس لبشر أن يغيِّر منهاج الله باختياره لنفسه أو لغيره طريقاً للهداية والإصلاح غير هذا الطريق وهذا المنهج.

الوجه السادس: ليس لنا أن نسوِّغ الخروج عن سبيل الله وسبيل رسوله ﷺ وطريق صحابته -رضي الله عنهم- في الدعوة إلى الله بحجة أن الظروف تغيرت، أو لأنّ الناس قد ملّوا التكرار، أو أنَّ الحكمة تقتضي تغيير مسار الدعوة لمواجهة قضايا العصر، أو أنَّ دعوتنا موجَّهة للمسلمين ولا وجود للشرك بينهم.

ومثل هذا الجدل -مع حسن النية بالمجادل، وأن هذا مبلغه من العلم- مشاقَّةٌ لله ولرسوله، وانحرافٌ عن سبيل المؤمنين، فتغيُّر الظروف بين نوح ومحمد ﷺ ومَن بُعثَ بينهما لم يغير نهج الرسالات في أصولها.

وشبهة تغيير منهج الدعوة لمواجهة قضايا العصر بيّنة البطلان، فإنَّ أهم القضايا في هذا العصر وفي كل ما خلق الله الجنَّ والإنس من أجله من العبادة الخالصة، والاستعداد لذلك المستقبل الوحيد الذي لا شك فيه؛ وهو الموت وسؤال القبر والجزاء والبعث والحساب.

الوجه السابع: أنه لا يليق بمن يوظف نفسه في الدعوة إلى الله أن يظن أن المسلمين الصالحين في غير حاجة للدعوة إلى توحيد العبادة، والتحذير من الشرك، فإن حياة النبي ﷺ انتهت بمثل ما بدأت به بعثته، فقد روى الشيخان عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ لما حضرته الوفاة جعل يلقي طرف خميصةٍ على وجهه، فإذا اغتمَّ كشفها عن وجهه وهو يقول: «لعنة الله على اليهود والنصارى

اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذّر ما صنعوا[1].

كانت هذه آخر وصايا النبي ﷺ لأهل بيته وخلفائه وصحبه وهم قدوة المسلمين إلى يوم القيامة.

الوجه الثامن: أنه لا يجوز لمسلم أن يعتذر في استمرار فشو الشرك بين المسلمين بسبب حسن النيّة، أو بالتقرب إلى الله، أو بالجهل، فإن الله ذم المشركين الأوائل بمثل هذه الأوصاف، فقال: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:٣٠]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، وقال: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤].

الوجه التاسع: أنه لا بد من الاعتراف بتغلغل الشرك إلى حياة المسلم المعاصر وعبادته، وأن أكثر مسلمي هذا العصر بين مقرٍّ له أو ساكت عن التحذير منه، ومن بين هؤلاء أكثر الخطباء والوعاظ ومن يسمون بالمفكرين الإسلاميين، وهم بين جاهل بحقيقة الأمر وخائفٍ على سمعته ومكانة حزبه بين المبتدعة، لأن الابتداع دين الغالبية في العصور المتأخرة.

وهكذا عادت الوثنية إلى بلاد المسلمين باسم عبادة الله والتقرُّب إليه، وحُبّه وحب الأنبياء والصالحين، ولكي يضمن الشيطان استساغة المسلم لذلك لم تسم أوثاناً ولا أصناماً، وإنما سميت الأنصاب أضرحةً ومقاماتٍ ومشاهدَ ومزارات، يَحصل عندها من الخشوع والخضوع ما لا يَحصل في بيتٍ من بيوت الله الخالصة من الشرك، وإن من المسلمين

(١) رواه البخاري في (كتاب الصلاة - أبوب المساجد) (٤٢٥)، ومسلم في (كتاب المساجد - ومواضع الصلاة) (٥٣١)، كلاهما من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

في بلاد الإسلام من يطوف بالقبور ويذبح لها وإنَّ منهم من يذبح للجن في البيوت المنكوبة اتقاء شرِّهم، وعلى درج البيت الجديد، وأمام السيارة الجديدة لدرء المصائب -زعموا-، ويضع قطعة من عجين على الباب ليلة الزواج، وصورة كف وعين على مؤخرة السيارة لدفع الحسد والبلوى، ويذبح بلا تسمية ليعيش الجنين، ويأتي العرَّاف ويسأله ويصدِّقه، ومثل هذا كثير ولا حول ولا قوة إلا بالله، فهل يمنحنا انتماؤنا للإسلام حصانةً من الشرك وعاقبته إذا تلبسنا به في قلوبنا ومساجدنا وبيوتنا؟ وهل نملك الإيمان بمجرّد التحلي والتمني[1] ؟!

الوجه العاشر: أنه إذا نظرت إلى دعوة النبي ﷺ للنصارى، وقد كانوا كلهم أو أكثرهم تحت دولة الروم صاحبة القوانين التي ما زالت مصدراً من مصادر تشريعات الحكم الحديث المخالف لشرع الله؛ كان أكثر نقاش القرآن معهم في عقيدتهم في عيسى، ولم يتكلم معهم في البداية عن شرك الدولة السياسي، وقد كان شعارهم (دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر)، وهو -بعينه- الفصل بين الدين والدولة.

الوجه الحادي عشر: أنه إذا نظرت إلى حال السلف أمام هذه المسألة وجدته مطابقاً لما ذكرناه، وهو اهتمامهم بالدعوة إلى التوحيد، وجعلهم ذلك أول ما يدعون إليه.

فمن الذي قال: أن تَجميع الجماهير بلا عقيدة عملٌ إسلامي؟ واللهِ ليس لهذه المقولة مصدر إلا الأحزاب العلمانيّة، وإلا فليتق الله في أمة محمد ﷺ من وقع في ذلك، ولا يَجتالهم عن دينهم، ولا يصدهم عن سبيل نبيهم ﷺ وصحابته الكرام من أجلِ تصورٍ سياسيٍ بشري.

الوجه الثاني عشر: أنه من أهم رسوخ هذا الفساد في العالم الإسلامي منذ قرون الجهل بالمعنى والمقصد من كلمة التوحيد، وقاعدة الدين الحق، (لا إله إلا الله)، فغالب عوام المسلمين يظنونها تعني أولاً وآخراً وحدانية الله في الخلق والرزق، والإحياء والإماتة والنفع والضر، أي:

(١) انظر «الدعوة في جزيرة العرب» لفضيلة الشيخ سعد الحصين.

توحيد الربوبيّة، ولو كان هـذا حقاً لما ردّها المشركون من قريـش، ولما قـالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ﴾ [ص:٥].

الوجه الثالث عشـر: أن غـالب مثقفي المسلمين يظنـون أنـها تعـني أول مـا تعـني الإيمان بوحدانية الله في الحكم -الحاكميّة-، ولو كان الأمـر كذلـك لما ردَّها كفـار قريش، ولكان هـذا أهـون عليـهم مـن عرض المال والملك على رسول الله ﷺ في مقابل تنازله عن معنى لا إله إلا الله، ولا نازعـهم ولا نـازعوه في ملـك ولا مال، ولكن من تدبـر كتـاب الله وسـنة رسوله ﷺ واستقرأ سيرته، لا يبقـى لـه مجالٌ للشك في أن معنـى لا إلـه إلا الله فوق كل أمرٍ ظنـوه، ألا وهـو إفـراد الله بالعبادة ونفيها عما سواه، وأن أبا جهل وغيره من مشـركي قريـش عقلـوا هـذا المعنى وردوا كلمة التوحيد لأنـها تـهدم ما وجدوا عليـه آبـاءهم مـن جمـع بـين الخالق والمخلوق في العبادة.

الوجه الرابع عشر: أن قضية الحاكمية بمعناها الشـمولي يَجـب أن تشـمل كـل الأمور الدينية والدنيوية.

والأمر بالمعروف والنهي عـن المنكـر والدعوة إلى الله عملٌ تعبـدي يَجـب أن يتوفـر فيـه الشـرطان اللـذان لا تقبـل العبـادة إلا بـهما وهمـا الإخـلاص والمتابعة، فإذا كان العمـل مقصـوداً بـه وجـه الله -سـبحانه وتعـالى- ولم يكـن على طريقة النبي ﷺ فهو بـاطل، لقـول النبي ﷺ: «من عمل عمـلاً ليـس عليـه أمرنـا فـهو رد»[1]، واشـتهر عـن غـير واحد مـن الصحابـة قولـه: اقتصـاد في سنّة خير من اجتهاد في بدعة.

فنحـن نطالبـهم بحكـم الله في هـذا الأمر وفي غيره، ونحـن أولى مـن غيرنـا بالتحـاكم إلى الشـرع، فـلا يصلـح أن ندعو الناس إلى التحاكم إلى الشريعة ثم نتحـاكم إلى التصـورات الفكريـة والسياسية، وإلا كان عملنا باطلاً مـهما كان قدر إخلاصنا.

والحمدُ لله ربِّ العالمين.

---

(١) رواه البخـاري في الصلـح (٢٥٥٠)، ومسـلم في الأقضيـة (١٧١٨)، كلاهمـا مـن حديث أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-.

الحلقة الأولى

فضل العلم، ومُعوِّقات تحصيله

• بقلم: فضيلة الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ

لا شك أن كل طالب علم أنِسَ لهذا السبيل وسلك هذا الطريق فهو يرى أن العلم هو أهم المهمات؛ لأن العلم هو العلم بالله -جل وعلا-، والعلم بالله -جل وعلا- هو أعظم ما يستفيده المرء في هذه الحياة، فبقدر علمه بربه -جل جلاله- ومعرفته بخالقه وإلهه ومعبوده يكون قربه من مولاه؛ لأنّ أقرب الناس إلى الله -جل وعلا- هم أعلم الناس به -سبحانه وتعالى-، لهذا قال النبي ﷺ: «إنّي لأعلمكم بالله وأخشاكم لله وأتقاكم لله، فمن رغب عن سنتي فليس مني» أو كما جاء عنه -عليه الصلاة والسلام-.

والأنبياء ارتفعت منازلهم لأجل علمهم بربهم -جل وعلا- وبشريعته، وما يُحب -جل جلاله-، وهذا العلم يدرك كل طالب علم أنه أهم المهمات وأعظم المطالب، فالواجب على كل طالب علم أن يَجعل أكثر حياته فيه وأن يُقَسِّم حياته ما بين تعلُّم أو تعليم أو أداء للنصح لعباد الله أو لمن له ولاية عليه كل بحسب ما هو فيه.

وهذا معنى البركة التي تكون في أهل العلم، فإن أهل العلم مباركون جعل الله -جل وعلا- في أقوالهم وأعمالهم البركة كما قال: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم:٣١]، وقوله «جعلني مباركاً» يعني أن عيسى -عليه السلام- جعله الله مباركاً بتعليم العلم أينما كان، أينما كان يعلم ويرشد ويدعو إلى ما يحب -جل وعلا- ويرضى.

وبقدر الازدياد من هذه الصفة يزداد المرء قرباً من الله -جل وعلا- ويزداد بركة في أقواله وأعماله.

لذلك جعل الله على الأنبياء البركة ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ﴾ [الصافات:١١٣]، وقال ﷺ: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

وآل محمد على أحد الأقوال هم المتبعون له من أهل التقوى، ويدخل فيه كل مؤمن متبع لسنّة النبي ﷺ وهذا المطلب مدرك يدركه كلّ طلاب العلم الذين أنسوا بالعلم وشرح الله -تبارك وتعالى- صدورهم له.

* وجوب طلب العلم:

ومعلوم أن العبادات والنوافل مراتب، والعلم منه ما هو فرض ومنه ما هو نفل، والعلم الذي هو فرض قد يكون فرض عين وقد يكون فرضاً على الكفاية، وإذا نظرنا اليوم فإننا نجد الناس لم يقم فيهم وإذا نظرنا إلى عموم الناس، لم يقم فيهم بالعلم من يكفي وخاصة العلم السلفي الصحيح الذي يعتمد فيه صاحبه على كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وعلى نهج السلف الصالح، فإن الذين يتبعون هذا السبيل اليوم أقل القليل، وهذا يؤكد على كل طالب علم في هذا السبيل أن يَحرص على نفسه وألا يضيعها وأن يزداد من العلم بحسبه، وأن يكون متقلباً ما بين التعلم أو التعليم، وما بين التأثير بالعلم أو التأثير بالدعوة في

أي مكان كان بحسب قدرته وبحسب ما أعطى.

*** أزمات ومحن:**

إن الأمم -بل أمة الإسلام- في تاريخها مرت بها فتن كثيرة، ومرت بها محن، ومرت بها بلايا وابتلاءات عظيمة، فمرة يكون بأسها بينها شديداً ومرة يسلط الله عليها عدواً من غيرها فينال منها ما يناله بحسب قدر الله -جل وعلا- وقد حصل ذلك في تاريخ الإسلام الكثير.

كما تعلمون، وإذا نظرت إلى القرن الأول وجدت فيه أشياء كثيرة، ما حصل من القتال والفتن التي كانت بين الصحابة، ثم كان في عهد الأمويين من فتن كثيرة، ثم في عهد العباسيين حتى أتت الفتنة الكبيرة بتسلط الدولة العبيديّة -المسماة بالفاطمية- على كثير من بلاد الإسلام، وساموا أهل السنّة سوء العذاب حتى إنهم ربما أتوا العالم فأرادوه عل قولِ شيءٍ يحتاجونه، فإذا أبى مشطوه بالحديد مشطاً، وقال الذهبي في موضع: «وقد نزع عن فلان جلده حتى يكون نكالاً لغيره مما فعله أولئك، وكان واقعة الحروب الصليبيّة المعروفة فوقعت وجاءت حروب التتار الكثيرة، وحصل ما حصل في تاريخ الإسلام، وهذا كله إذا نظرت إليه نظرة التاريخ وجدت أن أهل العلم في تلك الحقب وتلك الأزمات لم يتخلوا فيها عن العلم والتعليم ولم ينصرفوا عن العلم والتعليم إلى أمور أخرى، لأن العلم وطالب العلم يؤثر بحسب ما يستطيع لكن النفع الباقي له ولغيره هو العلم لأنه ينفع الله به أمماً كثيرة».

*** عوائق مخدرات:**

كثيرون ساءت ظنونهم بالعلم لأجل ما يبتلي الله به العباد من أمور كثيرة في أرض الله -جل جلاله-، ولهذا ينبغي التنبيه على جملة من العوائق التي تَعَوّقُ عن طلب العلم، أو سَمِّها المخدّرات التي تجعل كثيرين يُسيئون ظناً بالعلم، أو سمِّها الحُجُب التي تحجب عن رؤية طريق العلم الصحيح.

*** ضعف الهمة:**

أولها: ضعف الهمة، وهذه دائمة فإن العلم يحتاج إلى همة قوية وأهل العلم هم أكثر الناس همّة فيما يحب الله

-جل وعلا- ويرضى، وبرؤية المصالح والمفاسد المتعلقة بالشخص نفسه والمتعلقة بغيره أيضاً، لهذا نجد أن أكثر الناس همة هم الأنبياء -عليهم صلوات الله وسلامه-.

وإذا نظرنا في سيرة الأنبياء في القرآن وجدنا همَّتهم العظيمة تبليغ رسالات الله وأداء الواجب الذي أوجبه الله -عزّ وجل- عليهم من بيان حقه -جل وعلا- في عبادته وحده لا شريك له وبيان حقه -سبحانه- في أسمائه وصفاته في الرد على أهل الباطل وعلى مقالاتِهم ومجادلتِهم وفي بيان شريعة الله والتودُّد إلى الخلق في بيان هذه الشريعة؛ لعل النور يدخل إلى النفوس.

وهذا ظاهر في سيرة جميع الأنبياء، هذا نوح -عليه السلام-، أي همة كان عليها وهو يعظ قومه ليلاً ونهاراً وصباحاً ومساءً وهو يسر لهم ويعلن لهم تارة أخرى ويدعوهم مدة... كم؟ مدة ألف سنة إلا خمسين عاماً: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت:١٤-١٥].

وأي همة كان عليها إبراهيم -عليه السلام- وهو ينظر إلى قومه وهم يعبدون الأصنام التي ينحتونها بأيديهم ثم هو في ذلك صابر، وحاجَّهم بالعقل وحاجّهم بالدفع ودعا الأبعدين ودعا والده والأقربين، وكان في ذلك متنقلاً مرة في مصر، ومرة في مكة، ومرة هنا، ومرة هنا وهناك، وذلك كله لنشر رسالة الله -جل وعلا-.

هذه همة -ولا شك- ولا تستغرب لأن لأهل العزم هممهم عالية، وإذا نظرت إلى سيرة بقية الأنبياء ستجد ذلك ظاهراً، ومن قرأ بعض الكتب التي ألفت في علو الهمة فإنه سيجد من ذلك الشيء الكثير، فطالب العلم لا يصلح أن يكون ضعيف الهمة خائر العزم متواكلاً، بل يجل عليه إذا أراد سلوك هذا السبيل أن يكون قوي الهمة لا يقنع بالدون.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها

وتصغر في عين العظيم العظائم

وقد يأتي أحد وينظر إلى كتاب فيقول: كيف أقرأ هذا الكتاب الكبير؟! لأجل ضعف الهمة ولكن مع علو الهمة يفتح الله -جل وعلا- له.

قد طلبت مرة من الأستاذ محمود محمد شاكر -رحمه الله- الأديب المعروف ومحقق أجزاء كثيرة من «تفسير الطبري طلبت منه أن يرشدني إلى كتاب في اللغة العربيّة لأقرأه فقال لي: إقرأ «لسان العرب» فقلت له: «لسان العرب» عشرون مجلداً فكيف أقرأه؟! فقال: إذن اذهب إلى صفة أخرى للتجارة أو للوظيفة... أيش عشرون مجلداً؟! قرأناها على شيخنا (لعله يقصد شيخه المرصفي) مرتين وفي الثالثة ما أكملناه.

وهكذا صنيع العلماء، الحافظ ابن حجر قرأ «البخاري» على شيخه في عشرة أيام، كل «البخاري»! وقرأ «صحيح مسلم» في ثلاثة أيام وقرأ «سنن ابن ماجه» في يوم.

وهكذا صنيع أهل العلم في كثير من الأنحاء، شيخ الإسلام ابن تيمية ألّف عدداً من كتبه ورسائله التي تدرس وتشرح في جَلسة كما فعل في «الواسطية» وفي «الحموية» وفي «التدمرية» وفي أشباه ذلك.

سبب ذلك قوة العلم ثم عُلُوّ الهمة، فأول محذور وعائق وحجاب هو ضعف الهمة، فإذا تحرَّكَت الهمم جاء الله -جل وعلا- بالفُتوح من عنده -سبحانه- وهذا نوع من المجاهدة، لقولِه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩]، وقد ذكر ابن الجوزي -رحمه الله- في كتابه «صيد الخاطر» إنه إذا جاء جماعةٌ من البطّالين -يقصد بهم الذين يريدون الجلوس للكلام والقيل والقال والأخبار ونحو ذلك- قال: إذا جاءوا اشتغلتُ أثناء مجيئهم في بري الأقلام وقص الأوراق وتجهيزها للكتابة، وهذا لا شك أنه لا يكون إلا مع عُلُوّ همة في هذا السبيل، فالذي يريد أن يكون العلم في وقت دون

وقت وفي حال دون حال، هذا مع الزمن لا يحصل لأنه مع الزمن تكثر الأمور.

*** السيادة:**

هذا هو العائق الثاني من العوائق والحجاب الثاني، وهو: أن يكون المرء أو طالب العلم مُسَوّداً قال عمر -رضي الله عنه- فيما علّقه البخاري في «صحيحه»: «تفقهوا قبل أن تسودوا»، ويبدأ التسويد -يعني: أن يكون المرء سيداً- يبدأ بتزوجه فإذا تزوج بدأ ذلك، لهذا قال البخاري -رحمه الله- فيها: وبعد أن تسودوا، يعني: أن يطلب العلم وأن يتفقه قبل أن يكون ذا سيادة وأمر ونهي وولاية، والناس يتنوعون في ذلك، قد تكون الولاية بالزواج والأولاد، وقد تكون الولاية بأن يكون مدرساً معلماً فيكون عنده الشيء الكثير مما يبذله في تدريسه وتعليمه وفي الأنشطة التي تكون في المدارس ونحو ذلك، وقد يكون في القضاء، وقد يكون في وظيفة، وقد يكون مديراً للعمل فما يحتاجه في دنياه، وقد يكون أكبر من ذلك، فالسيادة لا شك أنها حجاب عن العلم أو عن الاستمرار في العلم.

ولهذا قال أبو عبد الله البخاري -منبهاً طلاب العلم لذلك- قال: وبعد أن تسوّدوا؛ ليحرّك فيهم العزم على ألا ينقطع عن العلم شيء من ذلك.

وقد كان بعض أهل العلم ينظر في مسائلَ مدداً طويلة وفي نفسه يريد لها حلاً كما قال عمر -رضي الله عنه-: «قد مات رسول الله ﷺ ووددنا أنا سألناه عن أبواب من الربا» والصحابة -رضوان الله عليهم- تمنّوا لو سألوا عن كذا وكذا من أبواب العلم، سألوا عمر أو سألوا علياً في قصص معروفة.

وكذلك ما يَحصل من أن طالب العلم قد يكون عنده ما يَشْغله ولا يُفرّط في سؤال أهل العلم عما يشكل وفي مطالعة العلم قبل أن يذهب أهله لأنه لا يدري متى الناس يحتاجون إليه! وابن عباس -رضي الله عنهما- كان صغيراً وكان يسأل الصحابة ويتلقّف العلم من هناك وهنا، حتى رجع الناس إليه، قال له صاحبٌ له من الأنصار أتظن يا عبد الله أن الناس يَحتاجون إليك وهؤلاء صحابة رسول الله بينهم؟! فاستمر ابن عباس، وحصّل ونظر حتى بعد أن تولى

الولايات، فقد ولاه علي -رضي الله عنه- إمارة الكوفة ومكث فيها زماناً، ثم رجع إلى مكة وتولى -أيضاً- ولاية أخرى، وكذلك غيره ولكن مسيرة العلم واحدة، وفي عمر الإنسان قد يُعَوّقه هذا العائق من حيث يشعر ومن حيث لا يشعر، فإذا كان طالب العلم صاحبَ عزيمة فإنه يجعل الأصل عنده استمرارَه في العلم بأي نوع يختاره، لكن لا ينقطع عن العلم عن غيره مما يكلف أو يكون مما يعينه على أمر دينه أو دنياه من أنواع الأعمال لا تصده عن ذلك، كذلك أهله وأسرته ونحو ذلك يأخذ من كل شيء بقدر ويعطي كل ذي حق حقه.

*** الانصراف عن الدعوة:**

مِن الحُجُب -أيضاً- قرار بعضهم أن طلب العلم يصرف عن الدعوة والناس يَحتاجون إلى الدعوة، وأما العلم فلا يحتاجون إليه، هذا مخدر كبير أدرك كثيرين فأصابهم، وهو أنهم يقولون: الدعوة أهم وأن تصاحب الشباب وتذهب معهم وتخالطهم لدعوتهم أولى من طلب العلم لأن العلم ليس مؤثراً، أو: متى ستؤثر بالعلم؟ بعد سنين طويلة جداً! وهذا مخدر وحجاب كبير وناشئ عن الغلط في فهم العلم والعمل.

وللرد على هذه الشبهة أقول: الأصل أن العلم متجزئ وأن الدعوة -أيضاً- متبعضة ومتجزئة، العلم لا يأتي جميعاً، والدعوة -أيضاً- لا تأتي جميعاً، فطالب العلم إذا علِم علَّم ودعا بحسب ما يفتح له من هذا الباب فيجعل ميدانه في العلم وفي التأثير بحسب ما يُعطي.

والانشغال عن العلم بالدعوة يورث أن تكون الدعوة على جهل؛ وهذا الذي أصاب الكثير من الناس فالناس في هذا أصبحوا ثلاث طوائف: إما أن ينقطع للعلم ولا يؤثر شيئاً، وإما أن يتجه للدعوة وهو جاهلٌ أو شبهُ جاهلٍ؛ وهذا مذموم؛ لأن العلم الذي لا ينفع صاحبه ولا ينفع به غيره هذا غير نافع للناس.

فطالب العلم إذا علَّم أقلها أن يعلمّ فيحفظ هذا العلم في الأمة فإذا صار معك العلم، فإن الدعوة تكون بحسب ما أُوتي العبد من العلم، فالدعوة متبعضة والعلم هو أساس الدعوة، لا يمكن أن يدعو العبد بدون علم يدعو إلى ما عَلِم أما ما لا يعلمه فإنه حينئذ يكون

ممن قفا ما ليس به علم، وقد قال -جل جلاله-: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف:١٠٨]، والبصيرة هي العلم، أدعو إلى الله على علم، فالعلم يتجزأ، إذن فالدعوة تتجزأ إذا علم شيئاً بدليله ووضح عنده فإنه يدعو إلى ذلك بعلمه بحسب ما ينفع.

وبعض الناس يظن أن الدعوة لا تكون إلا بالمواعظ أو لا تكون إلا بالمحاضرات أو بالذهاب إلى القرى أو إلى إلقاء الكلمات ونحو ذلك في الأمور العامة التي يتكلم الناس فيها! هذا غير صحيح لأن الأنبياء هم أكمل الدعاة وكلام الأنبياء إنما كان في حق الله -جل وعلا- وتوحيده وعبادته، فإذا علّم طالب العلم فقد دعا لأنه بتعليمه يدعو إلى الله -جل وعلا- فيدعو نفسه ويدعو غيره -أيضاً- ولكن الناس مقامات وكلٌّ يُفتح له بحسبه، وقد سئل مالك -رحمه الله- عن انقطاعه للعلم وتركه أبواباً أخرى من أبواب الجهاد؟ فقال: إن من الناس من فتح له باب الصلاة ومنهم من فتح له باب العلم، وأنا فتح لي باب العلم ورضيت بما فتح الله لي.

هذا بقي أثره، أي: أثر الإمام مالك إلى اليوم، وذلك لشدة حاجة الناس إلى بقاء العلم النافع، فإذن لا يَسُوغُ الالتفات إلى هذا الخاطر أو الحجاب الذي هو من كيد الشيطان في أنه لا يشتغل بالعلم لأن الدعوة أهم، وقد قالها مِن قبلنا أناسٌ قبل خمس عشرة -أو عشرين- سنة، ولما تقدمت بهم السن صاروا ضُعَفاء في العلم فلا أحسنوا العلم ولا أحسنوا الدعوة بعد ذلك.

العلم سلاح في يدك تحاج به، تجاهد به، تبلّغه وتدعو به بحسب ما قسم الله -جل وعلا- للعبد.

وللبحث بقية . . .

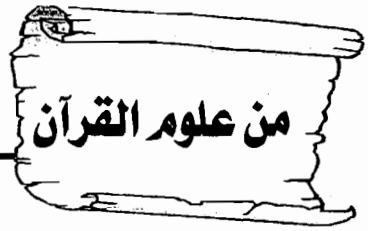

الحلقة الثانية والأخيرة

قُرَّاء الأردن وفلسطين

● بقلم: الشيخ أبي أنس محمد بن موسى آل نصر

باب العين:

- عبدالرحمن بن إبراهيم بن عمرو بن ميمون أبو سعيد الدمشقي المشهور بـ(دحيم) الحافظ (ت ٢٤٥)، قاضي فلسطين، روى القراءة عن الوليد بن مسلم، روى القراءة عنه عبدالله بن محمد بن هاشم الزعفراني وقد روى عن ابن عيينة وابن أبي فُديك ومعروف الخياط وغيرهم، وروى عنه البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم، قال أبو داود: حجّة لم يكن في زمنه مثله[1].

- عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان أبو القاسم المقدسي ثم الدمشقي المعروف بـ «أبي شامة»، الشيخ الإمام العلامة الحجّة الحافظ ذو الفنون، وقيل له:

(١) «غاية النهاية» (١/ ٣٦١/ ١٥٤٧).

وكلّ عزو يأتي: فمنه.

أبو شامة؛ لأنّه كان فوق حاجبه الأيسر شامة كبيرة، ولد في إحدى الربيعين سنة تسع وتسعين وخمس مئة، قرأ القراءات على السخاوي وروى الحروف عن أبي القاسم بن عيسى بالإسكندرية، أخذ عنه القراءات الشيخ شهاب الدين حسين بن الكفري وأحمد بن مؤمن اللبان، ولما كان في جمادى الآخرة سنة خمس وستين وست مئة حضر إليه ببيته اثنان بطواحين الأُشنان اثنان لا يعرف من سلّطهما فضرباه ضرباً عظيماً كاد أن يموت منه ثم ذهبا، فتوفي في شهر رمضان منها في تاسع عشرة ودفن خارج باب الفراديس بدمشق. [(١/ ٣٦٥، ٣٦٦/ ١٥٥٨)]

- **عبدالرحمن بن أبي بكر بن أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن سبع بن مالك النَّفَّزي** الكركي الشافعي يُعرف بابن أبي العباس(ت ٧٧٢)، ولد قبل السبع مئة بالكرك، وتلا على الصائغ وأبي حَيّان، وأتقن العربية عنه وأتقن الفرائض، وتصدر بالكرك، قرأ عليه محمد بن عثمان بن عبدالرحمن الكركي ومات قبله، مات يوم عرفة بالكرك. [(١/ ٣٦٦/ ١٥٦٠)]

- **عبدالصمد بن محمد بن أبي عمران أبو محمد الهَمْداني المقدسي العينوني**، (ت ٢٩٤هـ) مقرئ متصدر معروف، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن عمرو بن الصباح عن حفص وعن عبيد عنه، روى عنه القراءة إبراهيم بن عبدالرزاق وصالح بن أحمد بن عبدالرحمن ومحمد بن الحسن النقاش ونظيف، توفي بقرية عينون من بيت المقدس. [(١/ ٣٩١/ ١٦٦٦)]

- **عبدالله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبدالله** ابن عمران اليحصُبي (ت ١١٨) بضم الصاد وكسرها -نسبة إلى يحصُب بن دهمان بن عامر بن حِمْيَر ابن سبأ بن يشجُب بن يعرُب بن قحطان بن عابر -وهو هود -عليه

السلام- وقيل: يحصُب بن مالك بن أصبح بن أبرهة بن الصباح، وفي يحصِب الكسرُ والضم، فإذا ثبت الكسر فيه جاز الفتح في النسبة، فعلى هذا يجوز في (اليحصبي) الحركات الثلاث.

وقد اختُلف في كنيته كثيراً والأشهر أنه أبو عمران، إمام أهل الشام في القراءة، قرأ على المغيرة بن أبي شهاب صاحب عثمان بن عفان، وقيل: سمع من عثمان -وهو محتمل-، وأبو الدرداء وعلى فَضالة بن عبيد، قال خالد بن يزيد: سمعت عبدالله بن عامر اليحصبي يقول: ولدت سنة ثمان من الهجرة في البلقاء بضيعة يقال لها زحاب، وقبض الله رسوله ﷺ ولي سنتان، وذلك قبل فتح دمشق، وروى القراءة عنه عرضاً يحيى بن الحارث الذِّمَاري وأخوه عبدالرحمن بن عامر وربيعة بن يزيد وغيرهم. توفي بدمشق يوم عاشوراء. [(١/ ٤٣٣-٤٣٥/ ١٧٩٠)]

- عبدالله بن علي بن سليمان الكحال أبو محمد اللُّقيني -بضم اللام وفتح القاف وإسكان الياء والنون-، الغرناطي نزيل القدس (ت ٧١١) ، قرأ على أبي جعفر أحمد بن علي بن عمر الرعيني، وأبي جعفر بن الزبير وتصدر للإقراء بالقدس مع ابن جبارة وبعده، قرأ عليه ابن الخطيب جبرين وابن أبي زكنون وشمس الدين أحمد الزنجيلي النقيب بدمشق ورجع إلى بلده ثم قدم القدس فأقرأ بها، قرأ عليه العلامة محمد ابن علي بن يحيى الغرناطي بالحرمين وقرأ عليه بالقدس المفتي عزالدين بن عمر بن أحمد بن محمد الأموي الحيراصي، توفي بالقدس وكان إماماً علامة ذا فنون. [(١/ ٤٣٥،٤٣٦/ ١٨١٨)]

- عبدالله بن قطب بن الحسن بن الحسن بن سليمان الخراساني البيهقي، يُنعت بنجيب الدين إمام صالح مقرئ، قرأ على محمد بن محمد بن ميمون صاحبي وبدمشق عليَّ بالعشر وعلى أبي العباس أحمد بن ربيعة ثم أدرك أبا الفتح محمد بن أحمد العسقلاني صاحب الصايغ فقرأ عليه وتصدر بالقدس، يقرئ بالحرم قرأ عليه محمد بن أحمد بن

الهايم ثم تجرد وأقبل على الله وانقطع بدمشق. [(١/ ٤٤٣/ ١٨٤٩)]

- عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن أبو القاسم المؤدّب شيخ، روى القراءة عن أحمد بن محمد بن رستم، روى القراءة عنه أبو الفضل الخزاعي وذكر أنه قرأ عليه بفلسطين. [(١/ ٤٥٠/ ١٨٧٧)]

- عثمان بن عبدالله بن عبدالرحمن أبو عمرو الجبرتي (ت ٧٩٤) مقرئ مصدر ناقل، عني بالقراءات بعد أن شاخ فقرأ على عباس بن حسين التميمي وناصر بن مؤيد الجبرئي، وعلى أخي بهرام وأقام بالقدس يقرئ العشر بالحرم، قرأ عليه محمد بن علي ابن حسان الخيمي ومحمد بن عبدالرحمن المغربي، توفي في الثامن عشر من رمضان بالقدس الشريف ولم يكن بالضابط ولا المحقق. [(١/ ٥٠٦/ ٢٠٩٧)]

- علي بن محمد بن علي بن بركات أبو الحسن الأنصاري المصري يعرف بالبديع(ت ٦٨٦)، مقرئ مصدر، ولد سنة ثمان وثلاثين وست مئة، روى «الشاطبيّة» عن الكمال الضرير سماعاً وعرضاً لبعضها، وقرأ عليه القراءات وولي مشيخه الخليل، أخذ عنه محمد بن عمر بن محمد بن رشد بمقام الخليل وولي بعده مشيخة الحرم برهان الدين الجعبري. [(١/ ٥٧٣/ ٢٣٢٧)]

- علي بن أبي محمد بن أبي سعد ابن عبدالله أبو الحسن الواسطي المعروف بالديواني (ت ٧٤٣)، أُستاذٌ ماهر شيخ قراء واسط ولد سنة ثلاث وستين وست مئة، قرأ على الشيخ علي خريم والعماد بن المحروق وإبراهيم الاسكندري بدمشق وتوجه إلى الخليل فأخذ عن الجعبري وعاد إلى بلاده فانفرد بها، قرأ عليه ولده والشيخ علي الضرير الواسطي وعلي العجمي ومحمد الوزير قاني، وكان خاتمة المقرئين في واسط مع الدين والخير والتحقيق، توفي بواسط. [(١/ ٥٨٠/ ٢٣٥٢)]

- علي بن يوسف بن حريز بن فضل بن معضاد النور أبو الحسن اللخمي المعروف بالشطنوفي الشافعي

الأستاذ المحقق البارع شيخ الديار المصرية(ت ٧١٣)، أصله من البلقاء بالشام، ولد بالقاهرة سنة أربع وأربعين وست مئة، وقرأ الروايات على صالح ابن إبراهيم الأسعردي وعلي بن عبدالله بن القلال الجزائري ويعقوب بن بدران الجرائدي، قرأ عليه إبراهيم الحكري شيخ مصر وإسماعيل العجمي وعلي بن عبدالله كشتغدي وتصدر للإقراء بالجامع الأزهر توفي يوم السبت أذان الظهر ودفن يوم الأحد العشرين من ذي الحجّة. [(١/ ٥٨٥/ ٢٣٧٣)]

باب الميم:

- **محمد بن إبراهيم بن يوسف بن غصن** أبو عبدالله الأنصاري الشداوي القصري السبتي المالكي (ت ٧٢٣) مقرئ محقق صالح ولد سنة ثلاث وخمسين وست مئة، قرأ بالسبع على عبيدالله بن أحمد بن أبي الربيع، وروى القراءات عن أبي الحكم بن منظور وعن الأستاذ شيخ النحاة أبي الحسين ابن أبي الربيع، ودخل القدس وحج، قرأ عليه أبو عبدالله محمد بن علي بن أحمد بن ثبت ومحمد بن مقلد القدسي وياقوت بن عبدالله الجواهري بمكة وغيرهم، ثم جاور بالقدس حتى مات. [(٢/ ٤٧، ٤٨/ ٢٦٨٧)]

- **محمد بن أحمد بن إبراهيم بن يحيى ابن أبي المجد اللخمي** عز الدين ابن الفيومي المصري الشافعي (ت ٧٢٥)، ولد سنة أحدى وخمسين وست مئة تلا بالسبع على المكين الأسمر وعبدالنصير ابن عويض، وابن الكفتي ونصر المنبجي، وتصدر للإقراء ثم ولي قضاء الكرك فكان فيه ثلاثين سنة ومات في شعبان. [(٢/ ٤٩، ٥٠/ ٢٧٠٠)]

- **محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن سليمان بن بكر الضرير الرملي** (ت ٣٢٤) من رملة يعرف بالداجوني الكبير إمام كامل ناقل رحال مشهور ثقة.

أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن الأخفش بن هارون ومحمد بن موسى الصوري والبيساني وغيرهم، روى

القراءة عنه عرضاً وسماعاً العباس بن محمد الرملي يعرف بالداجوني الصغير وهو ابن خاله أبو بكر هذا به عرف وأحمد بن نصر الشذائي وأحمد بن بلال وغيرهم، مات في رجب عن إحدى وخمسين سنة. [(٢/ ٧٧/ ٢٧٦٥)]

- محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن سائب بن عبيد بن عبديزيد بن هاشم بن المطلب بن عبدمناف (ت ٢٠٤) الإمام العلم أبو عبدالله الشافعي -رضي الله عنه- أحد أئمة الإسلام، أخذ القراءة عرضاً عن إسماعيل بن عبدالله بن قسطنطين المكي، روى القراءة عنه محمد بن عبدالله بن عبدالحكم، ولد سنة خمس ومئة بغزة وقيل: بعسقلان ثم حمل إلى مكة وهو ابن سنتين وتوفي بمصر وذلك من ليلة الجمعة بعد المغرب آخر ليلة من رجب ودفن يوم الجمعة بعد العصر وقبره بقرافة مصر. [(٢/ ٩٥،٩٦،٩٧/ ٢٨٤٠)]

- محمد بن إسماعيل بن عبدالله الرملي يعرف بالمبيض، شيخ مقرئ روى القراءة عرضاً عن علي بن أحمد بن حميد، روى القراءة عنه أبو القاسم الأنولي لقيه بالرملة. [(٢/ ١٠١/ ٢٨٥٨)]

- محمد بن عبدالحكم بن يزيد أبو العباس القطري الرملي مشهور، أخذ القراءة سماعاً عن قالون عن نافع، له عنه نسخة وسمع آدم بن أبي أياس، روى القراءة عنه محمد بن يوسف بن بشر الهروي وعثمان بن محمد السمرقندي، سمع منه ابن الأعرابي. [(٢/ ١٥٩/ ٣٠٩٦)]

- محمد بن عبدالله بن شاكر أبو بكر الضرير يقال: أبو عبدالله الرملي الصيرفي، مقرئ متصدر معروف، قرأ على أبي بكر أحمد بن سهل الطيان والحسن بن أزهر، قرأ عليه محمد بن أحمد بن الحسن الكسائي والحسن بن سعيد المُطَّوِّعي. [(٢/ ١٧٩/ ٣١٥٩)]

- محمد بن عبدالله الرملي الفراء روى القراءات عن منصور بن أحمد العراقي وإسماعيل بن رجاء روى عنه القراءات أبو القاسم الهُذَلي. [(٢/ ١٩٠/ ٣٢٠٠)]

- محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب أبو بكر الزهري المدني،أحد الأئمة الكبار تابعي، قرأ على أنس بن مالك، ولد سنة خمسين وقيل: سنة إحدى وخمسين، روى عنه الحروف عثمان بن عبدالرحمن الوقاصي وعرض عليه نافع بن أبي نعيم فيما حكاه أحمد بن جبير عن أسحق المسيبي عنه مات سنة أربع وعشرين، -وقيل سنة ثلاث وعشرين وقيل سنة خمس وعشرين- بشعب آخر حد الحجاز وأول حد فلسطين. [(٢/ ٢٦٢،٢٦٣/ ٣٤٧٠)]

- محمد بن عثمان بن عبدالرحمن ابن عيسى بن موسى شمس الدين الكركي (ت ٧٦٩) مراكشي الأصل شافعي قدم دمشق وقرأ جمعاً على بن بضحان وكان قد قرأ بالكرك على عبدالرحمن بن أبي العباس مات بالكرك. [(٢/ ١٩٦/ ٣٢٣٠)]

- محمد بن علي بن محمد بن أحمد مثبت أبو عبدالله الخولاني الأنصاري (ت ٧٤٦)، نزيل القدس الشريف ولد بقرية يسينوس من الأندلس ثم انتقل إلى غرناطة فأخذ القراءات عن أبي جعفر بن الزبير ثم قصد الحج فقرأ بتونس على أبي العباس البطرني ثم دخل مكة بعد العشر وسبع مئة فقرأ على أبي أحمد الدلاصي وأبي عبدالله القصري، ثم قدم القدس سنة ثمان عشر فأقرأ بها إلى أن توفي، قرأ عليه ولداه أحمد وعلي. [(٢/ ٢٠٥/ ٣٢٧٣)]

- محمد بن يعقوب بن بدران العماد أبو عبدالله الجرائدي (ت٧٢٠)، مقرئ أصيل، ولد سنة تسع وثلاثين وست مئة، وروى عن ابن الجميزي وسِبط السِّلَفي وأقام ببيت المقدس مات في ذي الحجة بالقدس. [(٢/ ٢٨١،٢٨٢/ ٣٥٤١)]

- معاذ بن جبل بن عمرو أبو عبدالرحمن الأنصاري (ت ١٨) -رضي الله عنه- أحد الذين جمعوا القرآن حفظاً على عهد النبي ﷺ ووردت عنه الرواية في حروف القرآن، وهو الذي أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «خذوا القرآن عن أربعة من عبدالله بن مسعود وأبي بن

كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة» توفي -رضي الله عنه- بالقصير من أرض الأردن بالغور في طاعون عمواس وهو ابن ثلاثٍ وثلاثين سنة.
[(٢/ ٣٠١/ ٣٦٢٠)]

باب الياء:

- يونس بن عبدالله بن يوسف بن عبدالله أبو محمد الغزي(ت ٧٧٨)، شيخ غزة مقرئ مصدر صالح، أخبرني أنه قرأ على الشيخ شمس الدين الرقي بدمشق للسبع، قرأ عليه جماعة من أهل غزة منهم الشيخ إبراهيم رقاعة وولده عبدالرحمن بن يونس، توفي بغزة في حادي عشر من صفر.
[(٢/ ٤٠٧/ ٣٩٥٠)]

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

قال الإمام الألباني -رحمه الله-:

((. . . فعلى المسلمين إذا كانوا صادقين في سعيهم لإعادة الدّولة الإسلامية: أن يتوبوا إلى ربِّهم، ويرجعوا إلى دينهم، ويتَّبعوا أحكام شريعتهم، ومِن ذلك أنّ الخلافة في قريش بالشّروط المعروفة في كتب الحديث والفقه، ولا يحكِّموا آراءهم وأهواءهم، وما وجدوا عليه أباءهم وأجدادهم، وإلا فسيظلون محْكومين مِن غيرهم، وصدق الله إذ قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ ، والعاقبة للمتقين)).

[«السلسلة الصحيحة» (٤/ ٧٠)]

الفرق بين الصغيرة والكبيرة

وبيان الآثار المترتبة على ذلك

● بقلم: الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

قال أبو عبيدة: وما نقله شيخ الإسلام عن الإمام أحمد -رحمه الله- منقول عن سفيان بن عيينة -أيضاً-، قال القاضي أبو يعلى: «وقد حدّ أحمد -رحمه الله- الكبائر: بما يوجب حدّاً في الدنيا، ووعيداً في الآخرة، فقال في رواية جعفر بن محمد: سمعت سفيان بن عيينة يقول في قوله -تعالى-: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم:٣٢]، قال: ما بين حدود الدنيا والآخرة. قال أبو عبدالله: حدود الدنيا؛ مثل السرقة والزنا، وعدَّ أشياء، وحدُّ الآخرة، ما يحدُّ في الآخرة، واللمم: الذي بينهما»[1].

وقد وظف الشاطبي -تبعاً للعز بن عبدالسلام في «قواعده»- ما درج عليه العلماء من هذا التقسيم، فقرر في «الموافقات» (١/ ٣٣٨ -بتحقيقي) (المسألة السابعة عشرة) في (النوع الرابع) من (القسم الأول) من (المقاصد) -وهذا كلامه- وهو على التحقيق يلتقي بالجملة ما قدمناه آنفاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، وهذا نصه بحروفه:

(١) «العدة في أصول الفقه» (٣/ ٩٦٣). وانظر: «المسودّة» (٢٦٢)، و«الفروع» لابن مفلح (٢/ ٦٥١)، و «شرح الكوكب المنير» (٢/ ٣٩٧)، و«المطلع على أبواب المقنع» للبعلي (ص ٤٠٨)، و«المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة» (٢/ ٤٢٠).

«المفهوم من وضع الشارع أن الطاعة أو المعصية تعظم بحسب عظم المصلحة أو المفسدة الناشئة عنها، وقد عُلم من الشريعة أن أعظم المصالح جريان الأمور الضرورية الخمسة المعتبرة في كل ملة، وأن أعظم المفاسد ما يَكِرُّ بالإخلال عليها.

والدليل على ذلك ما جاء من الوعيد على الإخلال بها؛ كما في الكفر وقتل النفس وما يرجع إليه، والزنا والسرقة وشرب الخمر وما يرجع إلى ذلك مما وُضِعَ له حدٌّ أو وعيدٌ، بخلاف ما كان راجعاً إلى حاجيٍّ أو تكميلي؛ فإنه لم يختص بوعيدٍ في نفسه، ولا بحدٍّ معلوم يخصّه ؛ فإن كان كذلك فهو راجع إلى أمر ضروريٍّ، والاستقراء يبيّن ذلك؛ فلا حاجة إلى بسط الدليل عليه.

إلا أن المصالح والمفاسد ضربان:

أحدهما: ما به صلاحُ العالَمِ أو فساده؛ كإحياء النفس في المصالح، وقتلها في المفاسد.

الثاني: ما به كمال ذلك الصلاح أو ذلك الفساد، وهذا الثاني ليس في مرتبة واحدة، بل هو على مراتب، وكذلك الأول على مراتب -أيضاً-، فإنا إذا نظرنا إلى الأول وجدنا الدِّين أعظم الأشياء، ولذلك يهمل في جانبه النفس والمال وغيرهما، ثم النفس، ولذلك يهمل في جانبها اعتبار قوام النسل والعقل والمال؛ فيجوز عند طائفة من العلماء لمن أكره بالقتل على الزنا أن يقي نفسه به . . .

ثم إذا نظرنا إلى بيع الغَرَر مثلاً، وجدنا المفسدة في العمل به على مراتب؛ فليس مفسدة بيع حَبَل الحَبَلَةِ كمفسدة بيع الجنين في بطن أمه الحاضرة الآن، ولا بيع الجنين في البطن كبيع الغائب على الصفة وهو ممكن الرؤية من غير مشقة، وكذلك المصالح في التوقي عن هذه الأمور، فعلى هذا إن كانت الطاعة والمخالفة تُنتج من المصالح أو المفاسد أمراً كليّاً ضروريّاً، كانت الطاعة لاحقة بأركان الدين، والمعصية كبيرة من كبائر الذنوب، وإن لم تنتج إلا أمراً جزئياً، فالطاعة لاحقة بالنوافل واللواحق الفضلية، والمعصية صغيرة من الصغائر، وليست الكبيرة في نفسها مع كل ما يعد كبيرة على وزان واحد، ولا كل ركن مع ما يعد ركناً على وزان واحد -أيضاً-، كما أن الجزئيات في الطاعة والمخالفة

ليست على وزان واحد، بل لكلٍّ منها مرتبة تليق به».

وقال في «الاعتصام» (٢/ ٣٧٤-٣٧٥ -بتحقيقي) بعد كلام: «وأقرب وجهٍ يلتمس لهذا المطلب، أن الكبائر منحصرةٌ في الإخلال بالضروريات المعتبرة في كل ملّة؛ وهي: الدين، والنفس [1] والنسل، والعقل، والمال، وكل

---

(١) قسم بعض العلماء (الكبائر) على (الجوارح)، قال أبوطالب المكي في «قوت القلوب» ٢/ ١٤٨ -وتبعه ابن العربي المالكي في «قانون التأويل» (ص ٣٩٠-٣٩١)، وبوّب عليه (تعديد الكبائر من مجموع الأخبار، وقسمتها على الجوارح قصد الضبط والاختصار)، وابن القيم في «الداء والدواء» (ص ١٩٤)-: ((جمعتها من أقوال الصحابة، فوجدتها أربعة في (القلب)؛ وهي: الشرك بالله، شهادة الزور، وقذف المحصنات، واليمين الغموس، والسحر. وثلاثة في (البطن): شرب الخمر، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا. واثنتان في (الفرج)؛ وهما: الزنا، واللواط. واثنتان في (اليدين)؛ وهما: القتل، والسرقة. وواحدة في الرجلين؛ وهي الفرار من الزحف. وواحدة تتعلق بـ(جميع الجسد)؛ وهي: عقوق الوالدين)).

وقال ابن عبد البر في «التمهيد» (٥/ ٦٧): «أن الكبائر أكثر ما تكون -والله أعلم- من الفم والفرج، ووجدنا الكفر، وشرب الخمر، وأكل الربا، وقذف المحصنات، وأكل مال اليتيم ظلماً، من الفم واللسان، ووجدنا الزنا من الفرج».

ووجدتُ الأستاذ وهبة الزحيلي في كتابه «المحرمات وآثارها السيئة على المجتمع» يصنف الكبائر إلى (جرائم الاعتداء على العقيدة)، وذكر تحتها: (الشرك بالله)، و(السحر)، و(التكذيب بالقدر)، و(تصديق الكاهن والمنجم)، و(التصوير المجسّم)، و(اللطم والنياحة وشق الثوب ونحوه)، و(الذبح لغير الله)، و(الأمن من مكر الله)، و(الاعتداء على الدين وأهله بالردة).

و(جرائم الاعتداء على أحكام الشريعة)، وذكر تحتها: (ترك الصلاة)، و(منع الزكاة)، و(إفطار يوم من رمضان بلا عذر)، و(ترك الحج مع القدرة عليه)، و(الكذب على الله وعلى رسوله)، و(الفرار من الزحف)، و(غش الإمام الرعية وظلمه لهم)، و(شهادة الزور)، و(اليمين الغموس)، و(الكذب عموماً)، و(قضاة السوء)، و(التحليل)، و(عدم التنزه من البول)، و(الرياء)، و(التعلم للدنيا وكتمان العلم)، و(المنان)، و(ترك الجمعة والجماعة من غير عذر).

و (جرائم الاعتداء على الأشخاص)، وذكر تحتها: (عقوق الوالدين)، و (هجر الأقارب)، و(الزنا)، و (فعل قوم لوط)، و(السُّحاق)، و(الديوث) ، و(القوّاد)، و(تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء)، و(الكبر والخُيَلاء)، و(شرب الخمر)، و(قذف المحصنات)، و(اللعن واللعّان)، و (الظلم)، و(المكّاس)، و(القتل العمد والانتحار)، و(التسمع على الناس)، =

ما نـصّ عليـه منـها راجـع إليـها، ومـا لم ينـصَّ عليـه جـرت في الاعتبـار النظـري مجراها، وهو الذي يجمع أشتات مـا ذكـره العلماء وما لم يذكروه مما هو في معناه».

قال أبو عبيدة: يفيدنا تحقيق الشاطبي السابق، أنه يلحق بـ(الكبـيرة) مـا كـان مفسدته كمفسدة مـا قـرن بـه وعيـد أو حدّ أو نص أو أكثر منه، فشرب الخمـر -مثلاً- كبيرة، وضرر (المخدرات) على متعاطيـها أشـد ضـرر مـن (الخمـر)، فتلحق (المخدرات) بـ(الخمر)، وهكذا.

وعليه؛ فإن معرفـة الكبـيرة نوعـان: منصوصة ومستنبطة.

وصـرح القـرافي في «الفـروق» (٤/ ١٢٠٠ -ط. السـلام) بذلـك، فقـال عـن المنصـوص علـى أنـه كبـيرةٌ، أو مـا عـرف بـالضوابط عنـد العلمـاء: «نجعلـه أصـلاً، وننظر: فما ساوى أدنـاه مفسـدةً أو رجـح عليها عما ليس فيه نص، ألحقناه به» [1].

= و(النمـام والمغتـاب)، و(الغـدر)، و(المكـر والخديعة)، و(نشوز المـرأة)، و(الاسـتطالة علـى الضعيـف)، و(أذى الجـار)، و(أذى المسـلمين)، و(إيذاء أولياء الله)، و(سبّ الصحابة)، و(إسبال الإزار والثوب تكبّراً)، و(لُبس الحرير والذهب)، و (الانتمـاء لغـير الأب)، و(الجـدال والمـراء والخصومة)، و(منـع فضـل المـاء)، و(التجسـس على المسلمين).

و(جرائـم الاعتـداء علـى الأمـوال)، وذكـر تحتها: (أكل الربا)، و(أكـل مـال اليتيـم ظلمـاً)، و(القمـار والميسـر)، و(الـنرد والشـطرنج)، و(الغلول من الغنيمة)، و(السرقة)، و(الحرابة أو قطع الطريق)، (البغي والبغاة)، و(أكل الحـرام)، و(الرشوة علـى الحكـم) ، و(الخيانـة)، و(نقـص الكيل والميزان)، و(الإضرار في الوصية).

---

(١) لا نلتفت إلى قول ابن الشـاط في «إدرار الفـروق» (٤/ ٦٥-٦٦-ط.القديمـة) في هـذا: «أنـه أصـل لا يصـح إلا بنـاء علـى قواعـد المعتزلـة»! ولهـذا صلـة قويـة بـ(التحسـين والتقبيـح)، والمذهـب الحـق فيـه، يخـرج كـون المذكور على مذهـب (الاعـتزال) إلا بـالنظر إلى المسألة مـن وجهـة نظـر (الأشـاعرة). راجـع في المسألة كلام ابن القيم في «مفتـاح دار السـعادة» (٢/ ٤٢-٦٠،١٠٥)، ومـا علقتـه علـى «الاعتصـام» (١/ ١٩١-١٩٥) و«الموافقـات» (٢/ ٥٣٤-٥٣٥و٣/ ٢٨)، وتـأمل جيـداً مقولـة أهل السنة؛ ليتبرهن عندك نفي تهمة ابن الشـاط السابقة!

قلت: وبناءً عليه؛ فإن (الشرك الأصغر) عندي بجميع أنواعه من الكبائر [1].

وللمؤرخ نجم الدين أبي السعود محمد بن محمد الغزي العامري الشافعي (٩٧٧-١٠٦١ هـ): «الدرة المنيرة في شروط الكبيرة»، ذكره المحبي في «خلاصة الأثر» (٤/ ١٩٣)، والبغدادي في «هدية العارفين» (٢/ ٢٨٥) و «إيضاح المكنون» (١/ ٤٦١).

وللحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ): «الشمس المنيرة في معرفة الكبيرة وتمييزها عن الصغيرة» سماه السيوطي في «نظم العقيان» (ص ٤٧) وابن العماد في «شذرات الذهب» (٧/ ٢٧٣) وغيرهما، وأشار إليه في «فتح الباري» (١٢/ ١٩١) بقوله: «وعلى هذا فينبغي تتبّع ما ورد فيه الوعيد أو اللعن أو الفسق من القرآن أو الأحاديث الصحيحة أو الحسنة ويُضَمُّ إلى ما ورد فيه التنصيص في القرآن والأحاديث الصحاح والحسان على أنه كبيرة، فمهما بلغ مجموع ذلك عرف عنه تحرير عدها، وقد شرعتُ في جمع ذلك، وأسأل الله الإعانة على تحريره -بمنه وكرمه-».

والحمد لله ربّ العالمين.

(١) ومنه تفريع صاحب «حول تقسيم الذنوب إلى كبائر وصغائر» (ص ٤١-٤٢) على حديث «لعن النبي ﷺ آكل الربا ومؤكله، وكاتبه وشاهديه» مجموعة من (المحرمات)، قال: «ويحرم -قياساً على هذا الأصل- كلُّ مُلابِسٍ لمُحرّم، فما كان محرّماً أكله يحرم بيعه، وشراؤه واقتناؤه، والكسب منه، وهبته، ويجب إتلافه إن كان محرّم العين كالخمرة والخنزير، وتغيير وصفه إن كان جائز الاستعمال في مادته من حيث الأصل؛ كدباغة جلد الميتة، وكالصليب يصاغ من الذهب أو الفضّة، فيصهر وتعاد صياغته بحُليّ مما هو مباح، وما أشبه.

كما لعن رسول الله ﷺ قول الزور وشهادته، فإنه يُلحق به كل ما يمتُّ إليه بصلة، ويمكن ضبطه بأنه كل ما يستهدف به تزييف للحقيقة بإلباسٍ لها بالباطل، وهو مفسدٌ لشؤون الدنيا والدين، حتى صفّه الرسول ﷺ مع أكبر الكبائر».

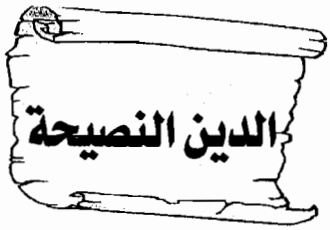

❖ الحلقة الثانية والأخيرة

نظرات تصحيحيّة في المسيرة الدّعوية

• بقلم: أبي العالية فخرالدين بن محمد الزبير

ثالثاً: خصُّ العلم قوماً دون قوم:

هذه قاعدة أثرية مستمدة من النصوص النبوية فقد بوب لها إمام أهل الأثر -رحمه الله- في «صحيحه»، فقال: «باب من خصَّ العلم قوماً دون قوم كراهة أن لا يفهموا» ثم أورد حديث معاذ -رضي الله عنه- وفيه قوله ﷺ: «ما من أحد يشهد أنَّ لا إله إلا الله وأنَّ محمد رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار، قال معاذ: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا قال: لا إني أخاف أن يتَّكلوا»، قال الحافظ -رحمه الله-: وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة، وقريب من هذا حديث مسلم أن عمر -رضي الله عنه- قال للنبي ﷺ: «إني أخشى أن يتكل الناس فخلهم يعملون فقال ﷺ: فخلهم»، وهذا يدل على أن العلم التَّفصيلي لا يلزم جميع الناس خاصة إذا خشي منه

ترتب مفسدة من إساءة فهم أو سوء قصد وإنما يلزم العامة العلم الإجمالي الذي يصحح إيمانهم ويقوِّم تعبداتهم.

وقد تتابعت آثار السلف الكرام في تأصيل هذه القاعدة فمن ذلك قول علي -رضي الله عنه- في «البخاري» «حدّثوا الناس بما يعرفون -وفي زيادة: ودعوا ما ينكرون- أتحبون أن يكذَّب الله ورسوله»، ومنها قول ابن مسعود -رضي الله عنه- في مقدمة مسلم: «ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» فتأمل!! وقد يلحق بذاك ما ذكره الذهبي عن الإمام مالك -رحمه الله- من كراهة تحديث العامة ببعض أحاديث الصفات، ولكن هذه المقالة ليست على إطلاقها، بل هي محمولة على دقائق الصفات مع خشية الاستشكال دون تمهيد عقدي أو تأصيل شرعي، أما إذا ذكر ذلك مقرراً بالقواعد ومزيلاً للاشتباه فلا بأس، بل هو من العلم النافع الذي يجب نشره وتعليمه.

ومن هذا القبيل ما ذكره الحافظ -رحمه الله- من كراهة الإمام أحمد -رحمه الله- للتحديث بالأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان وهذا -أيضاً- يُحتمل حيث لم يوضح مرادها، وقال الحافظ -رحمه الله-: «وعن الحسن أنه أنكر تحديث أنس للحجاج بقصة العُرَنِيِّين؛ لأنه اتخذها وسيلة لما كان يعتمد من المبالغة في سفك الدماء».

فإذا تأملت هذه النصوص والآثار وكنت منها على ذُكر وادّكار، فطوِّف معي خاطرك على واقعك الدعوي الذي يشهد خللاً ظاهراً في هذا المسلك الشرعي الحكيم، فلم يعد هناك علم يختص به أهل العلم وطلابه بل اشتركت جميع المستويات في دقائق المسائل التي تحيَّرت لها ألباب الأفاضل، وأعظم من ذلك أن تأخذ فتن الخاصة حيزاً واسعاً في الأوساط العامة بحيث تفتح مجالاً للتفكه والاستهزاء، وقبل ذلك النفور والازدراء، وكل هذه المناظر من أعظم العوائق في مسيرة الإصلاح؛ فإنَّ صيانة جناب الشريعة

وحفظ رونقها العام ودرء المفاسد المتعلقة بحكمها ومقاصدها أولى من جلب مصلحة كَرَدِّ جاهلٍ حائراً أو تهدئة متحمس ثائر، فهذه مصالح يمكن تحقيقها في مجالس خاصة أو مجالات ضيقة بأقل الخسائر لا أن تنشر أمام العامة مع ما فيها من مجازفات ومهاترات وإساءات وإشاعات، كلُّها تضعف الصف وتجر الوقيعة من أهل التربص والريبة ممن يصطاد في المياه العكرة، وهذا في حد ذاته -مع ما فيه من مفاسد- مذموم في ميزان الشرع «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»، «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخَصِم» ومن مأثورات أسلافنا: «لا تجعل دينك عرضة للخصومات» وقال الإمام مالك -رحمه الله- كما في «السير»: «ليس هذا الجدل من الدين في شيء» وشرح هذه العبارات يطول...

والمقصود أنه إذا ثبت المنع من تحديث بعض أحاديث النبي ﷺ درءً للفتنة مع كونها حقّاً محضاً لا باطل يعتريها ولا حق ينافيها فالشأن مع أقاويل بعض البشر أولى بالمنع من النشر عند حصول الضرر أو ترتب ما لا يحمد منه الأثر، فإذا ابتُليت الدعوة بفتنة -وهذا أمر قدري- فما المانع من علاجها بين الخاصة والتعاون في ذلك على قاعدة العلم والرحمة -كما سبق- دون إشاعتها -من أولها مع عُجَرِها وبُجَرِها- على مائدة الحوار ونافذة إطلالتها العالم أجمع يخفض فيها من شاء بما شاء وتتخللها الأهواء وتضطرب فيها الآراء ويتعالم فيها الجهلاء ويتسلل إليها لواذاً الدخلاء فيكثر الخلاف ويتسع الخرق على الراقع وتبعد الشقة بين الحق وأهله، وكما قيل: إذا سكت الجاهل قلَّ الخلاف، لذلك صدق رسول الله ﷺ حيث قال: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من استشرفها تستشرفه»، وفي لفظ لمسلم: «النائم فيها خير من اليقظان» مبالغة من النبي ﷺ في تضييق الخناق على الفتن والحدُّ من اتساعها، لذلك أذكّر نفسي -أولاً- وإخواني -ثانياً- بتقوى

الله وأن تكون نافذتهم هذه نافذة خير وتبشير وأن ينأوا بأنفسهم عن طرائق التنفير كما هي وصية رسولنا البشير النذير «يسيرا لا تعسرا بشراً ولا تنفرا تطاوعا ولا تختلفا» ولا مزيد على هذا الحديث والله أعلم.

رابعاً: إلزم غرز أهل العلم:

إن لزوم منهج أهل العلم هو طوق النجاة وَصِمَام الأمان وهذا مما لا ينبغي النزاع فيه، فكلنا يحفظ النصوص في ذلك، ومنها قوله -تعالى-:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩]، قال ابن عباس -كما عند الحاكم-: «يعني أهل الفقه والدين وأهل طاعة الله الذين يعلّمون الناس معاني دينهم ويأمرونهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر فأوجب الله -سبحانه- طاعتهم على العباد»، وقال ﷺ: «إن الله لا ينزع العلم منكم بعد ما أعطاكموه انتزاعاً ولكن يقبض العلماء بعلمهم ويبقى جهّال فيسألون فيفتون فَيَضِلُّونَ ويُضِلُّون» رواه في «الصحيحين»، فتأمل في قوله: «فَيضلون ويُضلون» يظهر لك جلياً أن أول أبواب الضلال غياب العلم وذهاب قاعدة الحل والعقد، فإن الحكم في المسائل -وبخاصّةٍ ما يتعلق بالنوازل أو الفتن والقلاقل- تحتاج إلى حصيلة وافرة من علوم النصوص وتضلُّع في القواعد ونظر شرعي في المقاصد، وقبل ذلك ديانة صادقة، فبالعلم والإيمان تتخطى الأمة المصائب وتحقق المطالب وتمخر عباب المحن وتشق دياجير الفتن لذلك جمع الله بينهما في القرآن فقال: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة:١١]، وقال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ ﴾ [الروم:٥٦]، فبالعلم يرفع الجهل وبالإيمان يدفع الظلم، والجهل والظلم منبع كل شر فهما من أعظم عوائق الطريق، ومتى تلبس بهما الإنسان حاد عن الهدى إلى الزيغ والردى﴿ إِنَّهُۥ كَانَ

ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب:٧٢]، فإن تفردت برأيك في مواطن تحتاج فيها إلى غيرك ممن هو أعلم منك كنت ظالماً بافتياتك على وصية الله ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء:٨٣]، وكنت جاهلاً لعدم معرفتك بما يصلح أمرك.

فأهلُ كل شأنٍ تُرفع إليهم أمورهم ثم من كان عنده نوع نظر استعان برأيهم على ما يظنه موافقاً للحق، ومن لم يكن به نظر تبعهم فيما رأوا وكان معذوراً عند الله باتباعه أمره ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء:٧].

وتأمل في قصة صلح الحديبية وحيثيّاتِها؛ وكيف أن الشروط كانت مخالفة لنظر كثير من الصحابة ومع ذلك سلّموا بها مع شدة ذلك على نفوسهم حتى نزل ما يُسَلّي حزنهم ويكشف همّهم، وهو قوله -تعالى-:﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح:١]، تَدُلك هذه القصة -وغيرها كثير- أن أهل العلم قد يعلمون من عواقب الأحكام ما يعجز عن إدراكه غيرهم، فلذلك لا بد من إعادة الحصانة الشرعية لعلماء الأمة؛ فإنه السبيل إلى كشف الغمّة.

وفيما قيل كفاية فإن هذا الأصل من المسلمات عند أهل الدراية.

والله أعلم.

❖ الحلقة الثانية والأخيرة

منهج الإمام الطبري في كتابه

«تهذيب الآثار، وتفصيل معنى الثابت عن رسول الله من الأخبار»

● بقلم: الشيخ أكرم بن محمد زيادة

خامساً: فَصّلَ إجماله السَّابق، فساق الحديثين رقم (١)، (ص:٤)، وقم (٢) (ص:٥)، عنه.

٥-١: من طريق حمزة بن حبيب -وهو أبو عمارة-، حمزة بن حبيب بن عمارة، الزيات، التميمي، مولاهم، القارئ، الكوفي، ولد سنة (٨٠) ثمانين، وتوفي سنة (١٨٥) خمس وثمانين ومائة، من السابعة، صدوق زاهد، ربما وهم، إمام في القراءة، وأحد القراء السبعة المشهورين، ولكنه ليس بمتقن في الحديث.

٥-٢: ومن طريق، أبي شعيب، حماد ابن شعيب، الحِمَّاني، التميمي، الكوفي، وهو ضعيف، متروك الحديث. قال البخاري: «فيه نظر». وهي أشد درجات التضعيف عنده.

سادساً: ساق الأحاديث التي رواها غير (علي) من الصحابة، وهم في هذا الحديث (تسعة غيره)، بلغت أحاديثهم بطرقها (ستة وثلاثين حديثاً) ووافقوه في معناها وهي على الترتيب التالي:

٦-١: خمسة عشر حديثاً عن أبي هريرة، من رقم (٣) (ص:٥) إلى رقم (١٦) (ص:١٠) وفي بعض أرقامها تكرارات، ومدارها على ثمانية من أصحابه.

٦-١-١ أربعة منها: من طريق، أبي سلمة بن عبدالرحمن عنه، من رقم (٣) (ص:٥) إلى رقم (٦) (ص:٦).

٦-١-٢ والخامس: برقم (٧) (ص٦-٧)، من طريق، سنان بن أبي سنان الدؤلي، عنه.

٦-١-٣ والسادس برقم (٨) (ص:٧)، من طريق، أبي زرعة، عنه.

٦-١-٤ والسابع، والثامن، والتاسع: برقم (٨م-١٠)، (ص:٨)، من طريق، أبي صالح ذكوان [السمان]، عنه.

٦-١-٥ والعاشر: برقم (١١) (ص:٩)، من طريق عبد الرحمن الأعرج، عنه.

٦-١-٦ والحادي عشر، والثاني عشر: برقمي (١٢-١٣) (ص:٩) من طريق عُلَيّ -مصغراً- بن رباح اللخمي عنه.

٦-١-٧ والثالث عشر، والرابع عشر: برقمي (١٤-١٥) (ص:٩-١٠)، من طريق، مضارب بن حزن، عنه.

٦-١-٨ والخامس عشر: برقم (١٦) (ص:١٠) من طريق أبي الربيع، عنه.

٦-٢-١: أربعة أحاديث، عن سعد ابن أبي وقاص، من رقم (١٧-١٩)، (ص:١٠-١١) وفي بعض أرقامها تكرارات أيضاً. وكلها من طريق سعيد ابن المسيب، عنه.

٦-٣-١: حديثان، عن السائب بن يزيد، برقمي (٢٠-٢١)، (ص:١١)، وكلاهما من طريق الزهري عنه.

٦-٤-١: ثلاثة أحاديث، عن عبدالله ابن عمر، من رقم (٢٢-٢٣)، (ص١١-١٢)، وفي بعض أرقامها تكرارات أيضاً.

الأول منها: برقم (٢٢)، (ص:١١)، من طريق الزهري، عن حمزة وسالم، عن أبيهما.

والثاني: برقم (٢٢م)، (ص:١٢)، من طريق الزهري، عن سالم وحده، عن أبيه.

والثالث: برقم (٢٣)، (ص:١٢)، من طريق النواس -وهو جليس لابن عمر كان يضحكه- عن ابن عمر، ساقها الطبري من طريق سفيان، وهو ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، به.

٦-٥-١: حديث واحد، عن أبي أمامة، برقم (٢٤)، (ص:١٣)، وهو من طريق القاسم، وهو أبو عبد الرحمن، القاسم بن عبد الرحمن، الأموي، مولاهم، الشامي، الدمشقي، صاحب أبي

أمامة، توفي سنة اثنتي عشرة ومئة، من الثالثة، صدوق يغرب كثيراً.

٦-٦-١: ثلاثة أحاديث، عن جابر ابن عبد الله الأنصاري، بأرقام (٢٥، و٢٦،و٣٥)، (ص:١٣، و١٥).

الأوليان: برقمي (٢٥- ٢٦)، (ص:١٣)، من طريق أبي الزبير، عنه، به.

والثالث: برقم (٣٥)، (ص:١٤)، من طريق قتادة، عنه، نحوه.

٦-٧-١: حديثان، عن أبي سعيد الخدري!!! برقمي (٢٧-٢٨)، (ص:١٣-١٤)، كلاهما من طريق العوفي، وهو، أبو الحسن، عطية بن سعد ابن جنادة، العوفي، الكوفي، توفي سنة (١١١) إحدى عشرة ومئة، من الثالثة، صدوق، يخطئ كثيراً، وكان شيعياً مدلساً.

٦-٨-١: أربعة أحاديث، عن ابن عباس بأرقام (٢٩-٣٢)، (ص:١٤-١٥)، كلها، من طريق عكرمة، عنه.

٦-٩-١: حديثان: عن أنس، برقمي (٣٣-٣٤)، (ص:١٥)،كلاهما من طريق قتادة، عنه.

سابعًا: شرع المصنف -رحمه الله تعالى- في «البيان عما في هذا الخبر من الفقه» -يعني حديث علي السابق- وله في ذلك منهج قرآني، سني، أثري، سلفي، واضح، عهدناه منه في «التفسير» أيضاً، حيث اتبع فيه المنهج التالي:

٧-١-١: لخص فقه الحديث في نقطتين، فقال (ص:١٦): «الإبانة من النبي ﷺ عن إبطال ما كان أهل الجاهلية يتواصون به بينهم، ويستعملونه في جاهليتهم، من التَّطَير، واتقاء مخالطة ذي الداء، حذراً من أن يعديهم دواؤه في المؤاكلة، والمشاربة، والمجالسة، وغير ذلك من المخالطة». «وإعلام النبي ﷺ أمته، أن أحداً من خلق الله، لن يصيبه إلا من سبق له في أم الكتاب، من خير، وشر».

٧-٢-١: ساق ثلاث آيات من كتاب الله -تعالى- تبين معنى التطير، الذي هو من مضادات التوكل، وآية «التوبة» التي تظهر فضل التوكل.

٧-٣-١: ساق شبهة معترض قد يعترض بأحاديث أخر ساقها هي:

٧-٣-١-١: أربعة أحاديث عن أبي هريرة من رقم (٣٦، ص:١٧)، إلى رقم (٣٩،ص:١٨)، أنكرت عائشة على أبي هريرة الحديث رقم (٣٧)، (ص:١٧) منها.

الأول منها: برقم (٣٦)، (ص:١٧) من كريق أبي سلمة، عنه.

الثاني: برقم (٣٧)، (ص:١٧)، من طريق أبي حسان، وهو الأعرج، الأحرد، مسلم بن عبد الله، البصري مشهور بكنيته، قتل سنة ثلاثة ومائة، من الرابعة، صدوق، رمي برأي الخوارج، عنه.

والثالث والرابع: برقمي (٣٨،ص:١٧، و ٣٩، ص:١٨) عن مجهول! عنه.

٧-٣-١-٢: حديثان برقمي (٤٠و٤١) ، (ص:١٨)، عن الشريد، وهو ابن سويد الثقفي، من طريق ولده عمرو، عنه.

٧-٣-١-٣: مرسل برقم (٤٢)، (ص:١٨)، من مراسيل أبي قلابة، عن النبي ﷺ.

٧-٣-١-٤: أربعة أحاديث، من رقم (٤٣-٤٦)، (ص:١٩-٢٠)، من طريق فاطمة بنت الحسين بن علي عن ابن عباس.

٧-٣-١-٥: حديث برقم (٤٧)، (ص:٢٠)، من حديثها، عن أبيها، عن أمه فاطمة -رضي الله تعالى عنها-.

٧-٣-١-٦: أربعة أحاديث، من رقم (٤٨-٥١)، (ص:٢١-٢٢)، عن سعد ابن أبي وقاص، من طريق سعيد بن المسيب، عنه.

٧-٣-١-٧: حديثان برقم (٥٢)، (ص:٢٢)و (٦٨)، (ص:٢٥)، عن أنس ابن مالك.

٧-٣-١-٨: ثمانية أحاديث، من رقم (٥٣-٥٨)، (ص:٢٢-٣٢)، و(٦٩) (ص:٢٦)، وفي بعض أرقامها تكرارات، عن عبد الله بن عمر.

٧-٣-١-٩: حديثان برقمي (٥٩-٦٠)، (ص:٢٣-٢٤)، عن أبي سعيد الخدري.

٧-٣-١-١٠: ثلاثة أحاديث، من رقم (٦١-٦٣)، (ص:٢٤) عن جابر بن عبد الله.

٧-٣-١-١١: أربعة أحاديث من رقم (٦٤-٦٧)، (ص:٢٤-٢٥) عن سهل بن سعد الساعدي.

٧-٤-١: ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- اختلاف السلف في معاملة ذوي العاهات، وأن ذلك لم يصح، لا عن النبي ﷺ، ولا عن غيره من الصحابة -رضي الله تعالى عنهم-، ولا من بعدهم من التابعين، وساق جملة من الآثار الواردة

عن السلف في ذلك، وعدتها (أربعة عشر أثراً) من (٧٠-٨٣) (ص:٢٧-٣٠)، ثم شَرَعَ في ذكر الأخبار الواردة عن رسول الله ﷺ، والتي تنبئ عن نفي العدوى وإثبات التوكل، قولاً وفعلاً.

أما الآثار الواردة عن السلف الصالح -رضي الله تعالى عنهم- فساق منها:

٧-٤-١-١: أثرين عن ابن عباس برقم (٧٠-٧١)، (ص:٢٧) ينفي فيهما أحاديث نُسِبَت إلى النبي ﷺ، بإثبات الطيرة والتشاؤم، مما مر سابقاً.

٧-٤-١-٢: أثراً واحداً عن عائشة -رضي الله عنها- برقم (٧٢)، (ص:٢٧)، تأولت فيه قوله ﷺ على أنه من فعل الجاهلية.

٧-٤-١-٣: أثراً، عن أبي بكر -رضي الله تعالى عنه- برقم (٧٣)، (ص:٢٧).

٧-٤-١-٤: ثلاثة آثار، عن عمر -رضي الله تعالى عنه- بأرقام (٧٤-٧٦)، (ص:٢٧-٢٩).

٧-٤-١-٥: أثراً عن سلمان [الفارسي] -رضي الله تعالى عنه- برقم (٧٧)، (ص:٢٩).

٧-٤-١-٦: أثرين، عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنه- برقمي (٧٨-٧٩)، (ص: ٢٩).

٧-٤-١-٧: أثرين عن ابن عمر -رضي الله تعالى عنه- برقمي (٨٠-٨١)، (ص:٢٨-٣٠).

٧-٤-١-٨: أثراً عن عائشة -رضي الله تعالى عنها- برقم (٨٣)، (ص:٣٠).

٧-٤-١-٩: أثراً عن سالم بن عبد الله ابن عمر، برقم (٨٤)، (ص:٣١).

٧-٥-١: ساق الأخبار الفعلية الواردة عن النبي ﷺ بنفيه العدوى من خلال مؤاكلته ﷺ لذوي العاهات، وأقواله التي تنبئ عن ذلك -أيضاً-، ومنها:

٧-٥-١-١: خبر جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- برقم (٨٤)، (ص:٣١).

٧-٥-١-٢: مرسل من مراسيل إبراهيم [النخعي] برقم (٨٥)، (ص:٣١) أيضاً.

٧-٦-١: رد الخبرين السابقين بما صح من نهيه النبي ﷺ عن مخالطة ذوي

العاهات، بثلاثة آثار، اثنان عن عمر، والثالث عن أبي قلابة.

ثامناً: شرع المصنف -رحمه الله تعالى- في الترجيح، والتصحيح، والجمع بين تلك الأقوال السابقة، وخلص إلى ما يلي:

٨-١: صحة الأخبار الواردة عن النبي ﷺ، في نفي العدوى والطيرة.

٨-٢: دنو العليل من الصحيح، أو السقيم من البريء، لا يوجب مرضاً، أو سقماً، والعكس بالعكس.

٨-٣: عدم جواز دنو المرضى من الأصحاء، والأصحاء من المرضى، لا لحرمة ذلك، ولكن دفعاً للشك عن أخبار الرسول ﷺ النافية للعدوى.

٨-٤: دفع التعارض بين ما صح من فعله، أو قوله ﷺ من النهي عن مخالطة العاهات، وما صح -أيضاً- من مخالطتهم فعلاً، أو قولاً منه ﷺ، أو من السلف، بأن ذلك مما يدل على جواز الأمرين معاً، وان نهيه لم يقتض تحريم المخالطة، كما أن فعله، أو نفيه، أو شرطه ﷺ لم يقتض الوجوب، أو الاستحباب.

تاسعاً: شرع المصنف -رحمه الله تعالى- في بيان ما في خبر علي -رضي الله تعالى عنه-، من غريب الألفاظ، ثم ما في سائر الأخبار، والآثار التي ساقها بعد ذلك والتي بلغت في مجموعها زيادة عن (تسعة وثمانين خبراً، وأثراً)، وقد سلك في ذلك مسالك منها:

٩-١: بيان معنى اللفظة الواحدة، أو العبارة الواحدة من الخبر، بما عهده هو من لغة العرب (ص:٣٥).

٩-٢: يورد من الأشعار والأخبار العربية، والنوادر النثرية، ما يشهد لما ذهب إليه، سواء كان ذلك من الشعر الجاهلي، أو ما بعده (ص:٣٥-٣٦).

٩-٣: بيان تصاريف الأفعال ومشتقاتها (ص: ٣٦).

٩-٤: المعاني التي قيلت في اللفظة الواحدة، أو العبارة الواحدة، أو مشتقاتها، وإن تعددت (ص:٣٧-٣٨).

٩-٥: ترجيح ما يرجح عنده ويصح، من تلك المعاني، وأوجه ترجيحها، أو تصحيحها، (ص:٣٨).

٩-٦: بيان معاني الغريب مما ليس من لغة العرب أيضاً (ص:٤٣-٤٤).

وبعد هذه الدراسة التحليلية، الإحصائية، لمنهج الطبري -رحمه الله

تعالى- في كتابه «تهذيب الآثار، وتفصيل معنى الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار» من خلال الحديث الأول من مسند علي -رضي الله تعالى عنه- نستطيع أن نُلَخِّصَ مَنْهَجَهُ في نقاط رئيسية تسع، هي:

١- سياقته للخبر بطرقه وأسانيده عن نفس الصحابي.

٢- إجمال الحكم على الحديث؛ صحةً وضعفاً، من خلال مجمل طرقه، ومتابعاته، وشواهده، ومعناه اللغوي، لا من خلال سنده، أو أسانيده فحسب.

٣- بيان العلل التي في إسناده، والتي يمكن من خلالها الحكم على إسناده، دون النظر إلى المتابعات والشواهد، والمعنى العام له.

٤- الإجمال في ذكر الطرق، والكلام عليها مجملاً -أيضاً-.

٥- التفصيل الدقيق بذكر الطرق، وأسانيدها، ولو كثرت، دون الكلام على أسانيدها، وحسبه أن يذكر الإسناد، وقد قيل: من أسندك فقد أحالك.

٦- سياق المتابعات لصحابي الحديث، عن غيره من الصحابة، وإن كثرت أيضاً.

٧- الإجمال في بيان فقه الحديث أولاً، ثم التفصيل على منهج سلفي قويم، اتبع فيه عدة مسالك أهمها:

٧-١ ملخص فقهي لمعنى الحديث.

٧-٢ ما يناسب المعنى، أو المعاني، من آيات الكتاب الحكيم.

٧-٣ إيراد شبهات أهل البدع، أو المعارضين.

٧-٤ رد تلك الشبهات بالحديث أولاً، ثم بما جرى عليه عمل السلف من خلال أخبار، وأفعال النبي ﷺ، والصحابة، والتابعين -رضي الله تعالى عنهم أجمعين- .

٧-٥ رد الضعيف من الأخبار، والآثار، بما صح وثبت منها.

٨-التفصيل في فقه الحديث، وبيان أحكامه الشرعية، على طريقة الفقهاء، والأصوليين.

٩- بيان معاني الغريب من ألفاظ الأخبار، والآثار، عربية كانت، أو غير عربية.

والحمد لله رب العالمين.

التنفير من خوض غمار التكفير

خطبة الجمعة في المسجد الحرام - بمكة المكرمة

- بتاريخ: ٢٢-٧-١٤٢٤هـ -

لفضيلة الشيخ صالح بن حميد -حفظه الله-

الحمد للهِ؛ الحمد لله إليه تصيرُ الأمور، وبيده تصريفُ الدُّهور، أحمدُه -سبحانه- وأشكرُه، عمَّ الخلائقَ فضلُه وإحسانُه، ووسِعَ المذنبين عفوُهُ وغفرانُهُ.

وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله -وحـده لا شريك له-، عظُم شأنُه وعزّ سلطانُه.

وأشهد أنّ سيّدنا ونبيّنا محمداً عبدُ اللهِ ورسـولُه؛ المبعـوثُ للثقلـين -الجِنَّـة والناسِ-، والمُبرّأ مِن العيوبِ والأدناس؛ صلى اللهُ وسلّم وبارك عليه عددَ النفوسِ والأنفـاس، وعلـى آلـهِ المطـهَّرين مِـن الأرجـاس، وأصحابـهِ البَرَرة الأكيـاس، والتابعين وَمَـن تبعـهم بإحسـان إلى يـوم الدين -وسلّم تسليماً كثيرًا-.

أمّا بعد:

فـأُوصيكم ـ أيـها النّـاسُ ـ ونفسـي - بتقوى اللهِ -عزّ وجلّ-؛ فاتّقوا اللهَ -رحمكـم الله-، فلبـاسُ التّقـوى جُنّـةٌ يتحصّـن بـها المتحصّنون، وخشيةُ اللهِ عُروةٌ وُثقى يتمسّك بـها المتمسّكون، وأداءُ الفرائـضِ واجتنـابُ المحرّمات وسيلةٌ مُثلى يتوسّل بها المتوسّلون.

أيـها المسـلمون: مَـن تـأمّل مقـاصدَ الشّرعِ في العباداتِ والمعاملاتِ، والآدابِ والأخلاقِ، والأوامِر والنّواهي: تبيّـن لـه

مقصدٌ كبيرٌ وغايةٌ عُظمى؛ تلكم هي جمعُ الكلِمة، وغرسُ المحبّة، وزرعُ الأُلفة، ونشرُ المودّة بين أفرادِ الأُمّة، والحثّ على التناصُر والتعاون، والبُعدُ عن أسباب العداوة والبغضاء، وما يحمِل على الكراهة والشّحناء، وما يثير الأحقادَ وضَغائن القلوب، والتّحذيرُ الشديد مِن الطّعن في المسلمين، وعيبهم، وهمزِهم، ولمزِهم، وإبداءِ عوراتِهم، وتتبُّع عثَراتِهم، والتّشهير بهم، وإساءةِ الظنِّ بهم، والاتهام ببدعةٍ، أو كفر، أو فسوقٍ، أو نفاق، أو ظلمٍ، أو جهل.

جمعُ الكلمَة ـ أيّها المسلمون ـ سبيلهُ إقامةُ شرعِ اللهِ، وإظهارُ شعار الإسلام وشعائرِه، والتّعاونُ على البرّ والتقوى، والأمرُ بالمعروف والنّهي عن المنكر، والنصحُ المُشفِق لكلّ مسلم، ولا تكون قوّةُ أهلِ الإسلام، ونفاذُ كلمتهم، وشدّةُ منَعَتهم: إلاّ بتناصُرهم وتآزُرهم.

أيّها الإخوة في الله: إنّ متغيِّراتِ العصرِ، ومضلاّتِ الفتَن، وتكالبَ الأعداء، وتداعيَ الأكَلَةِ: تدعو المسلمَ الغيورَ على أمّتِه -النّاصحَ لإخوانه- أن يربَأ بنفسهِ أن يكونَ مِعْوَلاً في يدِ أعدائه -مِن حيث يدري أو لا يدري!-؛ يقعُ في إخوانه المسلمين، فيَشتم هذا، ويُشهِّر بهذا، ويتنقّصُ هذا، ويحتقِر هذا، ويكفّر، ويبدّع، بل قد يسلَم منه الكافرُ والمشرك، ولا يسلم منه أخوه المسلم!

عبادَ اللهِ: هذه ـ حفظكم اللهُ ـ وَقفةٌ عِند فتنة خطيرةٍ، بدأت تُطِلّ برأسها في بعض المجتمعاتِ والفئاتِ، ينبغي أن يتنادَى أهلُ العِلم والإيمانِ والفضلِ والصّلاحِ والدّين والغَيْرةِ إلى مُقاومتِها والتّحذير منها؛ حذّر منها السّلفُ -رحمهم الله-، وبيّنوا خطرَها، وعَوَارها؛ إنّها **مسألةُ تكفير المسلمِ لأخيه المسلم**، والمجازفةُ بالحكم على المسلم بخروجه مِن ملّةِ الإسلام، وعَدِّهِ مِن أهلِ الكفرِ والشّرك، والقطعُ والجزمُ بأنّه خالدٌ مخلّدٌ في النّار -عياذًا بالله-، ولا حولَ ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.

مسألةُ التّكفير مِن المسائل الكبار، والقضايا العِظام؛ لها آثارُها العظيمة، فلا يحلّ لمسلم أن يُقدِم عليها إلا ببرهانٍ عنده من الله، ودليلٍ هو في دلالتهِ أوضحُ من الشّمس في رابعة النّهار.

لقد نبّه أهلُ العلم -سَلَفًا وخَلَفًا- إلى خطورةِ هذه المسألة، وعِظَم شأنِها، وما

يترتّب عليها من آثارٍ وتَبِعات في الدّنيا وفي الآخرة، يقولُ شيخ الإسلام ابن تيميّة -رحمه الله-: «إعلَمْ أنّ مسائلَ التّكفيرِ والتّفسيقِ هي من مسائلِ الأسماء والأحكام؛ الّتي يتعلّق بها الوعدُ والوعيد في الدّار الآخرة، وتتعلّق بها الموالاةُ والمعاداةُ، والقتلُ والعِصمةُ -وغير ذلك- في دار الدّنيا؛ فإنّ الله -سبحانه- أوجَب الجنّة للمؤمنين، وحرّم الجنّة على الكافرين، وهذه: الأحكام الكلّية في كلّ وقت وفي كلّ مكان».

وقال ابنُ الوزير: «وكم بينَ إخراج عوامّ فِرَق الإسلام -أجمَعين وجماهير العُلمَاء المنتسِبين إلى الإسلام- إخراجهم من الملّة الإسلاميّة، وتكثير العدوّ بهم - وبين إدخالِهم في الإسلام، ونُصرتِه بهم، وتكثير أهلِه، وتقوية أمره.

فلا يحلُّ الجُهدُ في التفرقَةِ بتكلُّف التّكفِير لهم بالأدلّة المعارَضةِ بما هو أقوى منها، أو مثلِها: ممّا يجمَعُ الكلمةَ، ويقوّي الإسلامَ، ويحقِن الدماءَ، ويُسكّن الدّهماء».

قال: «وقد عُوقِبت الخوارجُ أشدَّ العقوبةِ، ودُمّت أقبحَ الذمّ على تكفيرهم لعُصاةِ المسلمين، فلا يأمنُ المكفّرُ أن يقعَ في مثلِ ذنبهم، وهذا خطرٌ في الدّين جليلٌ، فينبغي شدّةُ الاحتراز فيه».

ويقولُ الشيخُ عبدُالله بن محمد بن عبدالوهّاب -رحمه الله-: «وبالجُملةِ؛ فيجِبُ على مَن نصح نفسَه أن لا يَتكلّمَ في هذه المسألة إلاّ بعلمٍ وبرهانٍ مِن الله، ولْيحذَر من إخراجِ رجلٍ مِن الإسلام بمجرّد فهمِه واستحسانِ عقلِه، فإنّ إخراجَ رجلٍ من الإسلام مِن أعظمِ أمور الدّين».

ويقول الإمامُ الشوكانيّ: «اعلَم أنّ الحُكمَ على الرّجلِ المسلمِ بخروجِه من دين الإسلام ودُخولِه في الكُفر لا ينبغي لمسلمٍ يُؤمن باللهِ واليومِ الآخرِ أن يقومَ عليه إلاّ ببُرهانٍ أوضحَ مِن الشّمسِ في رابعة النّهار؛ فإنّه قد ثبتَ في الأحاديثِ الصّحيحةِ -المرويّةِ عن طريق جماعةٍ من الصّحابة -رضوان الله عليهم- عن رسولِ الله ﷺ، أنّه قال: «من قال لأخيه: يا كافرُ، فقد بَاء بها أحدُهما» ، وفي لفظٍ:

«مَن دعا رجلاً بالكفر -أو قال: عدوّ الله- وليس كذلك إلا حارَ عليه» ، أي: رجَع عليه، وفي حديثٍ آخر: «من رمَى مؤمِنًا، بكفرٍ فهو كقتلِه» ».

ويقولُ ابنُ دقيقِ العيد -رحمه الله- مُعلِّقًا على هذه الأحاديث: «وهذا وعيدٌ عظيمٌ لمن كفّر أحدًا من المسلمين وليسَ هو كذلك».

وقال: «وهي ورطةٌ عظيمةٌ وقَع فيها خلقٌ من العُلماء اختلفوا في العقائدِ، وحكَموا بكفرِ بعضِهم بعضًا».

أيّها المسلمون: الكفرُ حكمٌ شرعيّ، والكافرُ هو مَن كفّره اللهُ -تعالى- ورسولُه ﷺ؛ فليس الكفرُ حقًّا لأحدٍ من النّاس، بل هو حقٌّ لله وحدَه؛ يُوَضّح ذلك شيخُ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بقوله: «فلهذا كان أهلُ العلم والسنّة لا يُكفّرون مَن خالفَهم -وإن كان ذلك المخالفُ يكفّرهم-؛ لأنّ الكفرَ حكمٌ شرعيّ؛ فليس للإنسانِ أن يعاقبَ بمثله، كمَن كَذَبَ عليك: ليس لك أن تكذِب عليه؛ لأنّ الكذبَ حرامٌ -لحقّ الله -تعالى-، وكذلك التكفيرُ حقّ لله؛ فلا يُكفَّرُ إلاّ مَن كفّره الله ورسوله».

قال: «والخوارجُ المارقون الذين أمَر النبيّ بقتالهم، قاتلَهم عليّ -رضي الله عنه- وأئمّةُ الدّينِ مِن الصّحابة والتابعين، وقد ثبَت ضلالُهم - أي: الخوارج - بالنصّ والإجماع، ولم يكفّرهم أحدٌ من الأئمّة، وإنّما قاتلوهم لِبَغْيِهم، فكيف بالطّوائفِ المختلفين الذين اشتَبَه عليهم الحقُّ في مسائلَ غلِط فيها مَن هو أعلمُ منهم؛ فلا يحلّ لإحدى هذه الطوائفِ أن تُكفّر الأخرى، ولا تستحلَّ دمَها ولا مالها».

قال: «وتكفيرُ الجهميّة مشهورٌ عند السلف والأئمّة، لكنْ ما كانوا يكفّرون أعيانهم، فإنّ الذي يدعو إلى القولِ أعظمُ من الذي يقول به، والذي يُعاقِب مخالفَه أعظمُ مِن الذي يدعو -فقط-، والذي يُكفّر مخالفَه أعظمُ من الذي يعاقِبه، ومع هذا فالذين كانوا من ولاةُ الأمور يقولون بقول الجهمية: إنّ القرآنَ مخلوق، وإنّ الله لا يُرى في الآخرة، ويَدْعُون الناسَ إلى ذلك، ويمتحِنونهم، ويعاقبونهم إذا لم

يُجيبوهم، ويُكفّرون مَن لم يجِبهم . . .، مع هذا كلّه: ترحّم عليهم الإمامُ أحمدُ، واستغفر لهم؛ لعِلمه بأنه لم يُبيّن لهم أنّهم مُكذّبون للرسول، ولا جاحدون لِما جاء به، ولكنْ تأوّلوا فأخطؤوا وقلّدوا من قال لهم ذلك».

بل قال شيخُ الإسلام ابن تيميّة -رحمه الله-: «إنّ الإمامَ أحمد صلّى خلفَ الجهميّة الذين دعَوا إلى قَولِهم، وامتحَنوا النّاس، وعاقبوا مَن لم يُوافِقهم بالعقوبات الغليظة، لم يُكفّرهم أحمد وأمثالُه، بل كان يعتقدُ إيمانَهم وإمامتَهم، ويدعو لهم، ويرى الائتمامَ بهم، والصلاةَ خلفهم، والحجّ، والغزوَ معهم، والمنعَ من الخروج عليهم، ما يراه هو وأمثالُه مِن الأئمّة، ويُنكرون ما أحدثوا من القولِ الباطل الذي هو كفرٌ عظيمٌ -وإن لم يعلموا هم أنّه كفر-، وكان يُنكِره ويجاهِدُهم على ردّه بحسَب الإمكان، فيجمَعُ بين طاعة اللهِ ورسولهِ في إظهار السنّة والدّين، وإنكار بدعِ الجهميّة المُلحِدين، وبين رعاية حُقوقِ المؤمنين من الأئمّة والأمّة -وإن كانوا جهّالاً مبتدعين، وظلمةً فاسقين-». انتهى كلامه -رحمه الله-.

إذا كان الأمرُ كذلك ـ أيّها المسلمون ـ فينبغي أن يُعلمَ أنّ الإيمانَ والكفرَ محلُّهما القلب[1]، ولا يطّلع على ما في القُلوبِ إلا الله، وفي التنزيل: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [النحل:١٠٦]

فالكافِر ـ عياذًا بالله ـ هو من شرَح صدرًا بالكفر، فلا بُدَّ من شرحِ الصّدر[1] بالكفر، وطمأنينةِ القلبِ به، وسُكون النّفس إليه؛ فلا اعتبارَ بما يقعُ من طوارقِ عقائدِ الشرّ -لا سيّما مع الجهل، وعدم الجزم بمخالفتها لطريق الإسلام-، ولا اعتبارَ بصدور مكفّرٍ لم يُرد به فاعلُه الخروجَ مِن الإسلام إلى ملّة الكفرِ، ولا اعتبارَ بلفظٍ تلفّظ به المسلمُ يدلّ على

(١) باعتباره الأصلَ في حقيقةِ الكفر والإيمان؛ فقد قال شيخ الإسلام ابن تيميّة -رحمه الله- في «مجموع الفتاوى» (١٤/ ١٢٠):

«وما كان كفراً من الأعمال الظاهرة -السجود للأوثان، وسب الرسولِ ونحو ذلك-؛ فإنّما ذلك لكونه مستلزماً لكفر الباطن». (م).

الكفر وهو لا يعتقِد معناه، وإن كانت هذه -كلّها- أمورًا منكرةً محرّمةً ممنوعةً يجب الإنكارُ على صاحبِها، والتحذيرُ منها، وبَيانُ الحقّ فيها، ولكنّها لا توجبُ الحكمَ والجزمَ بكفر صاحبها.

وبعد -أيّها المسلمون-؛ ففي مسألة التّكفير زلّت أقدامٌ ما كان لها أن تزلّ، وضلّت أفهامٌ ما كان لها أن تضلّ، وخاضت ألسنةٌ وأقلامٌ بغير علمٍ ولا برهان؛ فينبغي الحذرُ من ذلك كلِّه، والسّلامةُ لا يعدِلها شيءٌ، كما ينبغي الحرصُ على جمعِ كلمة المسلمين، فحين تحصُلُ الفُرْقَةُ والنُّفْرةُ وشَتَاتُ الكلمةِ يستبدُّ كلُّ ذي رأي برأيه، ويدّعي كلُّ الكمالَ لنفسه، ويُعجِبُ كلَّ سالكٍ مسلكُه، ويحصُر الحقَّ والغَيرةَ في نفسهِ وفئتِه؛ فيحتقرُ إخوانَه، ويزدري مسلكَهم، ويثير الغُبارَ من حولِهم؛ وحينئذٍ: تتنافرُ القلوبُ، ويقع التهاجُرُ والتقاطُعُ، وتضعُفُ الدّعوةُ إلى الله، وتقلّ منفعةُ العِلم، ولا يقعُ القَبُولُ للتّوجيهِ والإرشادِ، ويتغلغلُ الأعداءُ. ولَعَمْرو اللهِ إنّ هذه لهي بُغيةُ الأعداءِ، فلا حولَ ولا قوّة إلا بالله...

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾

[النساء:٩٤]

نَفَعني اللهُ وإيّاكم بالقرآنِ العظيمِ، وبهدي محمّد ﷺ، وأقولُ قولي هذا، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين من كلّ ذنب وخطيئة، فاستغفروه؛ إنّه هو الغفور الرحيم.

الخُطبةُ الثانية:

الحمّد لله فالقِ الإصباح، أحمدُه -سبحانه- وأشكرُه على نِعَمٍ تتوالى وتتجدّد في المساء وفي الصباح.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله -وحده لا شريكَ له-.

وأشهدُ أنّ سيّدنا ونبيّنا محمّدًا عبدُ اللهِ ورسولُه؛ أغنى نورُ رسالته عن كلِّ مِصباح، صلّى الله وسلّم وبارك عليه،

وعلى آله وأصحابه والتّابعين وَمَن تبعهم بإحسانٍ فَسَلَك سبيلَ الفلاح.

أمّا بعد -أيّها المسلمون- عندما تتقرَّرُ خطورةُ التّكفيرِ، وعِظمُ شأنه، وشدّةُ القول فيه: فإنّ ذلك لا يعني التساهُلَ، وتمييعَ القضايا، وإغلاقَ بابِ الردّة -عياذًا بالله-، والحكمَ بالإيمان لمن ظهَر كفرُه بالدليل والبرهان، وانشرَح صدرُه بالكفر والطّغيان، ولكنّ المقصودَ: بيانُ خطرِ المسألة، والحذرُ من الجرأةِ في اقتحام أبوابِها؛ حتّى قال بعضُ أهل العلم: إنّك لو مِتَّ ولم تقُلْ في فِرعونَ شيئًا لم يُؤاخِذْك اللهُ بذلك يومَ القيامة!

فالتكفيرُ ـ رحمكم اللهُ ـ عندَ أهلِ العلم- خطيرٌ؛ له شروطٌ وموانع: بيّنها أهلُ العلم؛ فقد يكون الرّجلُ لم تبلُغه النصوصُ الموجِبةُ لمعرفة الحقّ، وقد تكون عنده ولكنّها لم تثبُت عنده، أو لم يتمكّن مِن فهمها، وقد تَعْرِضُ له شبهاتٌ يَعْذُره اللهُ بها؛ فمَن كان مِن المؤمنين مجتهدًا في طلبِ الحقّ؛ وأخطأ: فإنّ اللهَ يغفِرُ له خطأه -كائنًا ما كان-، سواءٌ من المسائل النظريّة أو العمليّة، هذا الذي عليه أصحابُ رسولِ اللهِ، وجماهيرُ أئمّة الإسلام.

وأهلُ العلم قد يحكُمون على الأمرِ بأنّه كفر، ولا يحكُمون بأنّ كلَّ من وقع منه خارجٌ مِن الملّة؛ لأنّ شرطَ ذلك أن لا يكونَ له عُذرٌ مقبولٌ.

ألا فاتّقوا الله -رحمكم اللهُ-، واحفَظوا ألسنتَكم، ولا يستجرِيَنّكم الشيطان، واجتمِعوا على الحقّ، ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [المائدة:٢]

ثم صلّوا وسلّموا على نبيّ الرّحمة والهدى؛ فقد أمركم بذلك المولى -جلّ وعلا-؛ فقال قولاً كريمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦].

اللهمَّ صلِّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك نبيّنا محمّد صاحبِ الوجه الأنور، والجبين الأزهر، والخُلق الأكمل، وعلى آله الطيّبين الطاهرين...

الحلقة الأولى

قصف الرعد في نسف أغلوطات محاضرة (أما بعد)

• بقلم: الشيخ أبي المنذر أحمد بن جيلان

وقع في يدي شريط محاضرة[1] بعنوان: «أما بعد» للدكتور عائض القرني -هداه الله- فآثرت سماعه لانتشاره بين كثير من الناس، ولما سمعته كدْت لا أصدق ما فيه، لما احتواه من شطحات عقدية وأخطاء علمية، لا تصدر بمجموعها من رجلٍ تربى بين أهل السنة والجماعة، وهو الداعية المشهور والأديب الشاعر، الذي قد حصل على الدرجة العالمية (الدكتوراة) في السنّة المطهرة، وأوقف سنواتٍ عديدة هي كفيلة بأن يتذكر أو يخشى.

فلما سمعت هذه الأخطاء الفادحة في شريطه الأول بعد إيقافه سنوات،

(١) طبعت هذه المحاضرة بعد إلقائها كُتيب بعنوان «أما بعد» بدار الوطن ط١: ١٤٢٣هـ، ولما رأيت الكتاب قلت: لعله أشار إلى أخطائه، وتراجع عنها، ولكن للأسف فقد حذف منها بعض العبارات، والتي لا تمثل عُشر أخطائه، ولم يشر إلى تراجعه عما حذفه وكان الواجب عليه -إن تاب منها- أن يذكر ذلك، حيث إن الشريط قد طار كل مطار فهو أول باكورة إنتاجه بعد إيقافه!! وقد أشرت إلى المواطن المذكورة في كتابه بالإحالة إلى أرقام الصفحات.

كتبتُ هذه الرسالة نصحاً لله، ولكتابه، ودفاعاً عن سنّة رسوله ﷺ، وبياناً للناس وللشباب على وجه الخصوص، لئلا يغتروا بزخرف قوله وشعره، وسميت رسالتي: «قصف الرعد في نسف أُغلوطات[1] محاضرة أما بعد»

وقد أجملت أخطاءه في عشر أغلوطات، وجعلت الأخيرة منها متفرقة، ولعلي أتمثل بما قاله في شريطه المشار إليه: «... تلك عشرة كاملةٌ أهديها لمحبي النصح، وعشاق الفضيلة، وطلاب الحقيقة، وشداة الإصلاح، ورواد المعرفة ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود:٨٨]». اهـ من كلامه.

واللهَ أسأل أن يوفق المحاضر للتوبة النصوح والرجوع إلى الحق وعدم التمادي بالباطل، وأن يُكرِّس محاضراته في نصرة التوحيد والسنّة، وأن يطرق موضوعات تهمّ المسلم في دينه وإيمانه، وأن يلتزم في طرحه جادة العلماء وطلاب العلم في الوعظ والإرشاد، من ذكر النصوص وتعظيمها، وحث الأمة على التمسك بمنهج سلفها الصالح، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صَلَح به أولها، كما أسأله -سبحانه- أن يهدينا سواء السبيل وأن يرزقنا الثبات على دينه القويم، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأغلوطة الأولى:

استغاثته بقلبه ودمه من دون الله -سبحانه وتعالى- !!

قال في بداية شريطه: «كيف أبدأ؟؟ يا دم أسعفني .. يا قلب قف معي .. يا دم أنقذني».

أقول: إن هذا النداء الذي استفتح به الدكتور محاضرته، لمن أفدح الأخطاء التي سَمِعَتها أذناي في شريطه، كيف يجيز لنفسه أن يستغيث بغير الله؟ إنه

(١) أغلوطات جمع أغلوطة من الغلط، وهو الشيء يغالط بعضه بعضاً. انظر «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (٧٧٤).

يستغيث بدمه أن يسعفه وأن ينقذه، وبقلبه أن يقف معه!! وهل يستطيع دمه وقلبه أن ينقذه من دون الله ؟؟ أما علم الشيخ الدكتور أن الاستغاثة عبادة خالصة لله -جل وعلا-، لا يستحقها إلا الله -سبحانه وتعالى-؟!

إنه لا يخفى على أصاغر طلاب العلم ما قرره العلماء في هذه المسألة ومنهم شيخ الإسلام الإمام المجدد محمد عبد الوهاب -رحمه الله- حيث بيّن الأمر العظيم المتعلق بتوحيد الله وإفراده بالعبادة غاية البيان في جملة من كتبه ورسائله، من ذلك قوله في كتابه «الأصول الثلاثة»: «وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام والإيمان والإحسان ومنه الدعاء والخوف .. والاستعانة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله -تعالى- ..».

وقد علق العلامة الإمام الشيخ محمد صالح العثيمين -رحمه الله- بتعليق جميل لعبادة الاستغاثة فقال -رحمه الله-:

«الاستغاثة طلب الغوث وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك وهو أقسام:

الأول: الاستغاثة بالله عز وجل وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل وأتباعهم ...

الثاني: الاستغاثة بالأموات أو الأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك بالله لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفيًّاً في الكون فيجعل لهم حظًّاً من الربوبية، قال الله -تعالى-:﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢].

الثالث: الاستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة فهذا جائز كالاستغاثة بهم، قال -تعالى-:﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ

فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ [القصص:١٥].

الرابع: الاستغاثة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية مثل أن يستغيث الغريق برجل مشلول فهذا لغوٌ وسخرية بمن استغاث به ...» أهـ[1].

أقول: يا ترى أي قسم من الأقسام السابقة سيدخل المحاضر نداءاته واستغاثته؟؟ أليس الواجب على من كان في موقفه -بعد إيقافه- أن يلجأ إلى مولاه ويستغيث بالله؟ بلى والله.

أليس قد ذكر المحاضر في أول فوائده العشر التي استفادها بعد إيقافه عشراً (اللجوء إلى الله في الملمات، وقصده في الكربات، وسؤاله في الأزمات)، فأين هذه الفائدة من استغاثته بقلبه ودمه من دون الله؟!

إن أقل ما يقال إن هذا النداء والطلب الذي صاح به المحاضر بأعلى صوته مُوهِمٌ يجب الرجوع عنه والاستغفار منه، لأنها استغاثة بأعضاء جامدة، ليست بقادرة !

الأغلوطة الثانية:

إطلاقه لفظ الأسطورة على سيرة رسول الله ﷺ!!

ذكر في الوجه الأول من شريطه (وفي كتابه ص ٨) بعد أن ذكر شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ، بيت شعر ولم ينسبه إلى قائله -ولعله هو قائل هذا البيت- حيث قال:

يا طريداً ملأ الدنيا اسمه
وغدا لحناً على كل الشفاه

وغدت سيرته أسطورةً
يتلقّاها رواةٌ عن رواة

أقول: إن إطلاق لفظ (الأسطورة) وصفاً لسيرة رسول الله ﷺ فيه نظر حيث أن لفظ (أسطورة) يستعمل في اللغة على المكتوب الباطل.

قال ابن فارس -رحمه الله- في مادة (سَطَرَ): «سَطَرَ:السين والطاء والراء أصل مطّرد يدل على اصطفاف الشيء

---

(١) «شرح الأصول الثلاثة» للشيخ العلامة محمد صالح العثيمين -رحمه الله- ص (٦٠-٦١).

كالكتاب والشجر وكل شيء اصطفّ، فأما الأساطير فكأنها أشياء كتبت من الباطل فصار ذلك اسماً لها مخصوصاً بها، يقال: سطّر فلان علينا تسطيراً إذا جاء بالأباطيل وواحد الأساطير إسطار وأسطورة»[1].

وقال ابن منظور -رحمه الله-: «الأباطيل والأساطير: أحاديث لا نظام لها، واحدتها: إسطارٌ وإسطارة بالكسر...»[2].

وقد جاءت الآيات الكريمات التي تؤيد هذا المعنى؛ منها قوله -سبحانه وتعالى- في كتابه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [الأنعام:٢٥]، وقوله -تعالى-: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [النحل:٢٤].

(١) «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (ص ٤٥٨).

(٢) «لسان العرب» لابن منظور (٦/ ٢٥٧).

وقوله -تعالى-: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ [الفرقان:٥] وغيرها من الآيات[3] التي تبين وصف الكفار المكذبين لرسالة رسول الله ﷺ الذي هو الوحي المنزل من عند الله بالأسطورة فما جاء في هذا البيت فيه خطورة عظيمة لجناب رسول الله ﷺ، والإيمان برسالته، كان الأولى بالمحاضر أن يعظّم سنّة رسول الله ﷺ وسيرته، ولا يصفها بهذا الوصف المشين.

الأغلوطة الثالثة:

نداؤهُ اللهَ -جل جلاله- بقوله: «يا أنت»!!

ذكر في الوجه الأول من شريطه (وفي كتابه ص ٩) بعد ذكر الشهادتين وهو يثني على الله ببيت شعر ولم ينسبه إلى قائله -ولعله هو قائل هذا البيت!- حيث قال:

(٣) راجع الآية (٣١) من سورة الأنفال، والآية (٢٤) من سورة النحل.

يا أنت يا أحسن الأسماء في خلدي

ماذا أعرّف من متن ومن سندِ

أقول: إن مناداة الله -سبحانه وتعالى- ودعاءه عبادةٌ كريمةٌ من أعظم العبادات وأجلها، يدل على ذلك قول الله -تعالى-: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

وفي حديث النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء هو العبادة»[1]، والنصوص الواردة في هذا الباب كثيرة.

وليعلم أن للعبادة شأناً عظيماً، ومقاماً رفيعاً، حيث هو التوحيد، الذي هو حقٌّ خالصٌ لله العزيز الحميد، ولا يجوز للمسلم أن يلج في أي عبادة أو يتكلم عنها، إلا بعلم صحيح مستقىً من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ، قال -تعالى-: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وبسبب هذه المنزلة العظيمة لعبادة الدعاء لم تغفلها كُتُب الحديث والأثر، بل جمعت أحاديثها ورتبت أبوابها، بل قد أفردها بعض أهل العلم بكتبٍ مستقلة للحديث عنها وعن آدابها وضوابطها.

ومن أهم هذه الضوابط الشرعية أن يكون المنادى في الدعاء هو الله -جلّ جلاله-، أو اسم من أسمائه أو صفة

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٧٦، ٢٦٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٤) وأبو داود (٣٣٧٢) وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم (١/ ٤٩٠، ٤٩١) وقال صحيح الإسناد، وصححه النووي في «الأذكار» (٣٣٣) وقال الحافظ في «الفتح» (١/ ٤٩): إسناده جيد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٠٧)، وعزاه العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٤٠٣) برقم (١٢٩٥) إلى «مسلم» وعزوه وهم.

من صفاته[1] الثابتة بدليل الكتاب والسنّة، وهذا أمر مقرّر عند أهل السنّة.

ونجد الدكتور -هداه الله- دعا ربه وناداه -سبحانه وتعالى-: [يا أنت]، فأقول: هل (أنت) اسم من أسماء الله -سبحانه وتعالى-؟ وأين الدليل الشرعي من كتاب الله ومن سنّة رسول الله ﷺ على ذلك؟، ومتى كانت الضمائر وأسماء الإشارة أسماءً لله سبحانه!! اللهم إلا إن قلنا هذا في مصطلحات الصوفية!!

ولعل من المناسب أن أنقل فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية في هذا الصدد، فقد سئلت اللجنة الدائمة للإفتاء هذا السؤال:

س: هل يجوز أن تدعو الله بـ(يا هو) يعني «الله» ضميراً مستتراً تقديره: هو الله؟

«الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه .. وبعد:

ج: ضمائر المتكلم والخطاب والغائب كناية عن المتكلم أو المخاطب أو الغائب مطلقاً فليست من أسماء الله لغةً ولا شرعاً، لأنه لم يسم بها نفسه، فدعاؤه بها تسمية ونداء وذكر له بغير أسمائه فلا يجوز، ولأنه إلحاد في أسمائه بتسميته بما لم يسم به نفسه، ونداء له ودعاء بما لم يشرعه، وقد نهى -سبحانه- عن ذلك، فقال:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم»[2].

---

(١) والمراد أن تكون الصفة وسيلة في دعاء الله كما ورد: «اللهم يا حيُّ يا قيوم برحمتك أستغيث» إذ إن الصفة لا تدعى لوحدها.

(٢) «فتاوى اللجنة الدائمة» (٢/ ٢٩٥ برقم ٣٨٦٧) قسم العقيدة (التصوف)!! (الطبعةالثالثة للرئاسة والإفتاء / ١٤١٩ هـ).

فتبين من هذا أن دعاء الله بـ(يا أنت) لا يجوز وأنه إلحاد في أسماء الله ودعاءٌ بما لم يشرعه الله -سبحانه وتعالى-.

ولعل قائلاً يقول لماذا تسيؤن الظن بالشيخ الدكتور؟؟ فإنه لا يقصد رب العالمين في ندائه ولكن يقصد رسول الله ﷺ!!

فأقول: إن هذا الإيراد ليس بصحيح فإن سياق كلامه يدل على أن نداءه لله، فقد قال قبل ذكره للبيت: «سبحانك اعترفت بذنبي وتقصيري أمامك» وقال بعد ذكره للبيت: «يا رب يا حي يا قيوم، يا لطيف، ...» إلخ، فالسياق والسباق واللحاق -كلُّه- يدلُّ على أنّ نداءه كان لله.

ومع هذا أقول: إن كان قصد بذلك رسول الله ﷺ فهذا لا يجوز أيضاً، فإن الله -سبحانه- نهى الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- أن ينادوا رسول الله باسمه فقال -سبحانه وتعالى-: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣].

قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية: «كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فنهاهم الله -عز وجل- عن ذلك إعظاماً لنبيه ﷺ»، وقال قتادة -رحمه الله-: «أن يُهاب نبيُّه ﷺ وأن يجلّ وأن يعظّم وان يسوّد»[1].

فأيّاً كان قصد المحاضر في ندائه فإنه قد أخطأ ولا شك، ولكنَّ الأول أشدُّ وأقبح.

وللبحث بقية . . .

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٣٧).

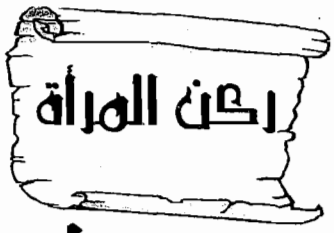

عوامل بناء شخصيّة المرأة المسلمة

• بقلم: أم عبدالله نجلاء الصالح

قال الله -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١].

أحمدُ الله -تعالى- أنْ منَّ علينا بنعمة الإسلام فأخرجنا من الظلمات إلى النور بإذنه، وبفضله أخرج المرأة من ظلمات الجهل والجور، فأكرمها وأعلى شأنها وردَّ اعتبارها، وأنزلها المكانة التي تستحقها كإنسان له كامل الحقوق وعليه واجبات، فوصلت إلى أرقى مستويات الإكرام والاحترام ليسمو بها إلى منزلة رفيعة لم تبلغها في أي شريعة أخرى.

أوصى بها أمّاً وزوجه وأختاً وبنتاً ورَحِماً، فخرَّجت مدرسة النبوة أمهات المؤمنين وصحابيات ذلَّت على أيدي أزواجهن وأبنائهن وإخوانهن رقابَ الأكاسرة والجبابرة، فتحوا البلاد وقلوب العباد بفضله -سبحانه- عندما رفعوا راية هذا الدين، والتزموا المنهج الرباني الذي جاء به نبينا الأمين ﷺ وثبتوا عليه وبذلوا من أجله الغالي والنفيس؛ فأين نحن منهم؟!

فأين نحن من خديجة وعائشة وأسماء والخنساء وفاطمة -رضي الله عنهن أجمعين-؟!

ما واجب المرأة المسلمة حتى لا تفقد شخصيتها وحقوقها أمام الخطر الدّاهم الزاحف نحو الأسرة المسلمة، الذي يحمل في طياته موجات الفساد والتضليل والخداع للمرأة المسلمة؟

إنهم لم يستخدموا دبابة ولا طيارة، استخدموا ما هو أشد فتكاً وأكثر خطراً وإفساداً، تحايلوا بتغريب المرأة المسلمة عن دينها عن طريق وسائل الإعلام المرئية والمقروءة بتزيين التبرج والميوعة والانشغال بالمظاهر الفارغة والقضايا الجانبية التافهة والاستغراق بالمشاكل العائلية غير مباليات بالأخطار المحدقة حولهن، فكثُرَ الفساد والطلاق والمعاصي، حتى أصبحنا نرى هياكل نعرفها ومخابر أجنبية عنا!!

لباس الكافرات الكاسيات العاريات تلبسه المسلمات، متعطرات متشبهات بالرجال.. يتسابقن في إضاعة الدنيا والدين، يُصطدن ويَصطادهن ضعاف النفوس بعد أن انسلخ الحياء، وحقّقوا مآرب أعداء الدين بهدم البيت المسلم من خلال المرأة.

قال مُخططو بروتوكولات حكماء صهيون: «علينا أن نكسب المرأة ففي أي يوم مدّت إلينا يدها ربحنا القضية».

وقال يهودي آخر: «لا تستقيم حالة الشرق -أي لهم- إلا إذا رفعت الفتاة الحجاب».

تَحلُّل، عُريّ، إباحية، اختلاط، لَهو، حفلات مموَّهة ببريق خادع يغطي نيَّات مروِّجيها، ورسول الله ﷺ يقول: «صنفان من أهل النار لم أرهما بعد، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات، مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنّة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» [صحيح (حم،م) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- «صحيح الجامع» (٣٧٩٩)، «مختصر مسلم» (١٣٨٨)]، صدق رسول الله ﷺ، فقد رأينا في هذا الزمان ما لم يره، يسير الأب والأم إلى جانب ابنتهما الكاسية العارية وكأنهما يفتخران بقلوب طُمِست لا تَعرف معروفاً ولا تُنكر مُنكراً.. فيا لغربة الإسلام.

وقال أحد قادة الماسونية: «كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع فأغرقوها في حب المادة وحب الشهوات».

وللأسف أصبحت الثقافة في الأمة المحمدية غناءاً ومعازفَ وحفلاتٍ ومعاصيَ، نعوذ بالله من غضب الجبار.

وقال ﷺ: «سيكون في آخر الزمان خسف ومسخ إذا ظهرت المعازف والقينات، واستُحلَّت الخمر» [صحيح رواه الطبراني في «الكبير» عن سهل بن سعد -رضي الله عنه-، والترمذي عن عمران بن حصين، «صحيح الجامع» (٣٦٦٥)، «الروض النضير» (١٠٠٤) - القينات: هن المغنيات].

هل من خُدعت وحادت عن طريق الاستقامة تقوى على حَمل الأمانة، أمانة هذا الدين؟ وهل تُخرج لنا أبناء وبنات أمثال الرعيل الأول ومن تبعهم بإحسان؟

إنّ الشخصية لدى الإنسان -رجلاً كان أو امرأة- تتكون من عنصرين هامَّين:

١- عقلية راشدة متوقِّدة تعرف هدفها في الحياة.

٢- نفسية طاهرة من كل دنس ورذيله وقبح وسوء وكل ما يشين.

وبهذا يتميز الإنسان الذي يملك شخصية متميزة كريمة فاضلة استقام سلوكه بها على المنهج الرباني والأخلاق الفاضلة، عن الإنسان الذي هدرت شخصيته لهوى متبع أو شهوة جامحة أو تقليد أعمى.

وبمقدور أي امرأة مسلمة بناء شخصيتها بناءً إسلامياً مراعية ما يلي:

١- الحرص على طلب العلم الشرعي وتطبيقه عقيدة وأخلاقاً وعبادات، بأن تَجعل الكتاب والسنّة مقياساً لمفاهيمها وميولها تدور مع الحق كيفما دار ملتزمة للأمر قدر الاستطاعة مُجتنبة للنهي، وهذا يتطلب نفساً هينة لينة سهلة قريبة وقابلة للتغيير إلى الأفضل، إن جاءها الأمر من الله -تعالى- قالت: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، لا كما تَفعل الكثيرات حسب الأهواء ولسان حالهنّ يقول: سمعنا وعصينا، والعياذ بالله، والله -تعالى- يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

٢- التأسي بما جاء في كتاب الله -تعالى- وحديث رسوله ﷺ من عظات وعبر، في السير العطرة للأنبياء وزوجاتهم، ورسولنا ﷺ في أهل بيته، والصحابة الكرام والصحابيات، فإنهم القدوة الصالحة ولنا بهم أسوة حسنة، قال الله -تعالى-: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢٨-٣٤].

من هذه الآيات الكريمة تتبيَّن لنا أمور هامة لبناء شخصية المرأة المسلمة:

أ- على المرأة المسلمة أن تكون على قدر الحدث في أمتها تعين زوجها في بيته وفي دعوته وفي تربية أبنائه، ترضى بالقضاء وتصبر على البلاء.

ب- الحض على الزهد في هذه الحياة الدنيا وترك الجري وراء شهواتها وملذاتها،

عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد بما في أيدي الناس يحبك الناس» «صحيح الجامع» (٩٢٢)، وعن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله وأما الناس فانبذ إليهم هذا يحبوك» [«صحيح الجامع» (٩٢٣)].

جـ- التحذير من الفاحشة -وحاشا لأمهات المؤمنين أن يفعلنها، يبين الله -تبارك وتعالى- أن المرأة القدوة إذا اقترفت الفاحشة تكون أشد إثماً ووقعاً في قلوب الناس.

د- الحض على الطاعة والعمل الصالح والنظر إلى ما هو خير وأبقى.

هـ- الحض على التقوى ومنه التأدب مع الرجال عند لقائهم ومُخاطبتهم.

و- الحض على الستر والقرار في البيوت للتحصُّن ضد إغراء الجاهلية في كل زمان ومكان، وهذا من تكريم الإسلام للمرأة والمحافظة عليها.

ز- الحض على تلاوة كتاب الله وهدي رسوله ﷺ فإنّهنّ من المثبّتات.. والكثير الكثير من الآيات والأحاديث لنا فيها عبر وعظات.

٣- الصبر والثبات على الحق والتمسك به بقوة رغم معوقات الشهوات والشبهات، فلا تشبه بالكافرات ولا بالرجال، ولا مُخالطة لأهل المعاصي والبدع، والابتعاد عن مجالستهم، وعدم تكثير سوادهم.

قال الله -تعالى-: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف:٤٣].

وقال ﷺ: «إن من ورائكم أيام الصبر -وفي رواية: زمان الصبر-، للمتمسك فيهنّ يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم، قالوا: يا نبي الله! أو منهم؟ قال: بل منكم» وفي رواية: «للمتمسك فيه أجر خمسين شهيداً منكم». [«صحيح الجامع» (٢٢٣٤) «السلسلة الصحيحة» (٤٩٤) صحيح رواه الطبراني في «الكبير» عن عبد الله بن مسعود]

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٥٠].

٤- تعميق قاعدة الولاء والبراء فإنّها أوثق عرى الإيمان.

قال ﷺ: «أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله» [«الصحيحة» (١٧٢٨)، صحيح رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود]، وقال -تعالى-: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف:٢٨].

٥- الحرص على قضاء الوقت فيما ينفع، قال الله -تعالى-: ﴿ وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر:١-٣]، وقال ﷺ: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟»، [حديث حسن رواه الترمذي عن ابن مسعود «صحيح الجامع» (٧٢٩٩)، «الصحيحة» (٩٤٦)]، وعلى هذا مدار الحياة ثم عنه يُسأل.

فلنشغل أوقاتنا بالذكر والعبادة والعلم والتعليم ومجالسة الصالحين وغرس مبادئ الدين في الأبناء بالحكمة والموعظة الحسنة والقدوة الصالحة ليحملوا أمانة هذا الدين لمن خلفهم، ما أحرانا في هذا الزمان أن نقتدي بنساء الصدر الأول للإسلام اللاتي بَذَلْنَ أروع الأمثلة في التضحية والفداء والثبات على الحق ليعز الإسلام والمسلمين، وليس ذلك على الله -سبحانه- بعزيز، وهو -سبحانه- القائل: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد:١١].

فالبدارَ البدارَ.

جنّبنا الله وإياكم كل سوء.

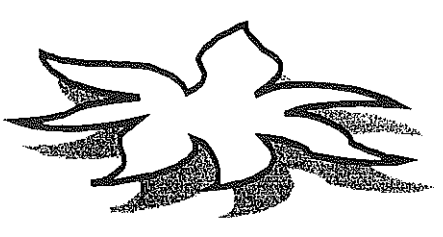

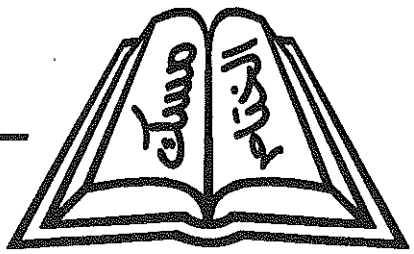

علامةُ التَّوفيق

بقلم: أسرة التحرير

العبد الموفق لا يزال يسعى في توفير الحسنات، والاستقامة على الطاعات، والحرص على مجالس العلم وجني الثمرات، والنظر في الكتب واستغلال اللحظات، وهو في ذلك يجتهد على اجتناب مواضع الفتن والشبهات، وتجريد القصد والنيات، وحفظ الحقوق والأمانات . . .

وهو في سيره إلى ربه يتعين عليه ملاحظةُ ثلاثة أمور:

الأول: الاهتمام بواجبه الحاضر، والنظر إلى عبودية الوقت، لا سيما عند غلبة الأهواء والأعراض الضارة؛ بحيث يعمل على مرضاة الله في كل وقت، والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه، «فهو لا يزال متنقلاً في منازل العبوديّة كلما رفعت له منزلة عمل على سيره إليها، حتى تلوح له منزلة أخرى»[1].

(1) «مدارج السالكين» (1/ 77) لابن القيم.

الثاني: أن لا يكون له غرض وقصد في الخلق إلا إقامة دين الله وتحقيق الإصلاح ظاهراً وباطناً، فليس له قصد في شخص دون شخص، أو حاكم دون حاكم، بل غرضه شرعي دينيّ، لا نفسيّ شخصيّ؛ بل أن لا يكون له غرض في الوسائل: كالولاية والقضاء والتعليم، إلا التوصل بها إلى إقامة الشرع والعدل[1].

وهذه مرتبة التجريد في الأفعال والأغراض والوسائل، لا يزال الموفق يجتهد في حفظها ورعايتها...

الأمر الثالث: المحاسبة قبل الإقدام على الفعل، هل هو مُعَانٌ عليه داخلٌ في مقدوره أم لا؟ لأن الإصلاح مطلوب على حسب القدرة والإمكان، كما قال -تعالى-: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن:١٦].

فالعبد الموفَّق له وقفات عند الإقدام، وتأملات عند الإحجام، وينظر في عمله: «هل هو مُعَانٌ عليه، وله أعوان يساعدونه وينصرونه -إذا كان العمل محتاجاً إلى ذلك- أم لا؛ فإن لم يكن له أعوان أمسك عنه كما أمسك النبي ﷺ في الجهاد بمكة حتى صار له شوكة وأنصار»[2].

فهذه علامات على توفيق الله -تعالى- لعبده: الأولى: تعلقت بالعبودية ووظائفها، والثانية: تعلقت بهمة العبد وقصده، والثالثة: تعلقت بقدرة العبد واستطاعته.

حينذاك لم يبق لهذا العبد الموفق إلا أن يذوق حلاوة إيمانه وتوفيقه...

والموفق من وفقه الله.

(١) انظر «الفتاوى السعديّة» (٥٧٣).

(٢) «إغاثة اللهفان» (١/ ٨١) لابن القيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

مركز الإمام الألباني
للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية

قسيمة اشتراك

الاسم:.....

البلد:..... المدينة:..... الحي:.....الشارع:.....

رقم المنزل:..... الهاتف:..... الفاكس:.....

العنوان البريدي: .....

❑ اقتراحات أخرى: .....

.....

بالبريد المستعجل يرسل إلى المشترك كل من:

١- مجلة الأصالة ٢ - الإصدارات العلمية للمركز ٣- الإصدارات السمعية للمركز

قيمة الاشتراك السنوي:

- الأردن (٤٠) دينار - دول الخليج (١٥٠) دولار
- دول أوروبا (١٥٠) دولار - أمريكا (٢٠٠) دولار.

ترسل الحوالة إلى الحساب التالي مع إشعار إلى مركز الإمام الألباني:

- البنك الإسلامي الأردني – فرع طارق- الأردن.

رقم الحساب: ١١٢٥٩ - اسم الحساب: محمد موسى نصر وسليم عيد الهلالي.

-Jordan Islamic Bank for Finance and Investment

Tareq/Tabarbour Branch , Amman ١١٩٤٧ Jordan

Bank Code : JIBAJOAMXXX

Account Number : ١١٢٥٩

Account Name : Salim Eid Mohammad Hilali & Moh 'D Mousa Hussein Naser

تلفاكس ـ مركز الإمام الألباني:٥٠٥٤٠٥٣ (٦ ٠٠٩٦٢).

Telefax : ٠٠٩٦٢٦٥٠٥٤٠٥٣ - www.albani-center.com - E-mail: albani١٤٢١@hotmail.com